

كتاب : غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات
المؤلف : ابن ظافر الأزدي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

قال علي بن ظافر الأزدي ثم الخرجي: لم أزل في كل أوان وزمان أسمع من أوصاف المآثر الملكية الأفضلية، والمناقب النورية السلطانية، ما تتأرجح بذكره الحاضر، ويفتنن به البادي والحاضر، وأشاهد من آثاره ما تنفي عليه الخناصر، ويعجب من صدوره من شخص تألفت عليه العناصر، فأكاد أطيّر إلى تلك الحضرة من الشوق، وبهم عمرو وللتوق أن يشب عن الوطوق. حتى اتفق لي أن مثلت الحضرة الناصرية، خلد الله لما لكها الملك، وملكه الخلد، وأمه العلو، وأعلى له الأمر، لعزمة كانت من مهمات القلب أمضاها، وحاجة في نفس يعقوب قضاها، فحللت بمقامه الأسمى مادحاً، ونزلت على دوحة فضله الباسقة صادحاً، فرأيت مجدداً تقصر دونه مدى بلاغتي النظم والإنشاء، وجوداً خضرملاً لا يحتاج وارده إلى تطويل الرشاء، وحلملاً لا تجلجله رياح الغضب، وعزماً لا تدعيه على صولتها القبض، فاخضرت لما حللت بجنابه سنى الغبر، ولما التقينا صدق الخبر الخير: وأهديت إلى جانبه الأسمى - نصر الله عزه وأعز نصره وقر علوه، وأعلى قدره - تحف مدائحي الغر، وقصائدي المزرية بهجة الزهر، وغمرت النجوم الزهر. وخدمت مقامه بهذا الكتاب، الذي ما أظن قريحة أتت بمثاله فيما سلف من الزمن، ولا أظن أن أحداً يجمع مثله فيما بعد. وأين من بعد أن قدمت قبله هذه القصيدة، وأودعتها نوعاً من جنس ما أودعته فيه من غريب التشبيه، ورفعتها صحبته يوم الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسائة بالعسكر المنصور على تل الحجل بمرج عكا وهي في صفة العسكر:

طربتُ إلى المعسكر بالشام ... ومشيتُ بين أطناب الخيام
لدى ييض قوادمهنَّ كهفو ... تلوح لناظري مثل الحمام
كأن الأرض أدحيُّ إذا ما ... حكتُ بجيامها ييض النعام
ولاحت خيمة السلطان فيها ... بحرمتها كبرق في غمام
حكّتُ وسطى من الياقوتِ لما ... بدوا مثل اللآلي في انتظام
فتحكى ربوة سترتُ بنبتِ الش ... قاتق حين لاح من الكمام
عجبتُ لها ترى الآساد تبدي ال ... خضوعَ بها لوافرة السنام
إذا اصطفت ظباءُ الترك فيها ... جفوتَ لحسنهم كل الأنام
وإن شيهت مالکها بليث ... عجبتُ لأنس غزلانٍ قيام

وكم بدر بأفق قباهُ يسري ... يجرُّ ذيلَ شعرٍ كالظلام
ويطعنُ كل قلبٍ من هواهُ ... سنانٌ جاء من رمحِ القوامِ
ولونُ عذاره المخضرُ أضحي ... لخمرةٍ خلدته مثل القدم
يخط لعاشقيه لا وصالٌ ... ألم تنظر إلى ألفِ ولامٍ
وإن جاءَ القتالُ رأيتَ يوم ال ... ركوب من الأعاجيب العظام
فكم شمسٍ تجر هلالَ قوسٍ ... فترسلُ محرقاتاً شهب السهامِ
وكم في النقع ظبي فوق طرف ... كبدر فوق برق في ظلامِ
وكم من مغفر من فوق خدٌ ... بهي كالحبابِ على المدامِ
وكم يهتز فيه غدِيرُ درعٍ ... يسقى غضنَ بانٍ من قوامِ
وصفتُ الكوس لا تنسأهُ رعدٌ ... له قطرٌ من النشابِ هام
ويقطعُ مرج عكا كل طلب ... كرضوى حينَ يطلعُ أو شامِ
ويبدو المرجُ والرايات صفرٌ ... تحاكي لونه غبَّ الغمامِ
تري حمر البيارق فيه تبدي ... عجاجاً كالمدخانِ على الضرامِ
وإن صفرٌ بدتُ لك في عجاجٍ ... رأيت التبر يسكنُ في الرغامِ
ووقت الرحفِ تنظرُ كل ليثٍ ... لديه سيفه كالنابِ دام
إذا ما قالَ كم حطمت ألقاً ... فإن القولَ ما قالت حدامِ
ويعذر رمحه إن ملسَ سكرًا ... ألم يكرع من الدم في مدامِ
وعكا قد حكّت بكرةً شمساً ... تسدُّ ففتحتها صعبُ المرامِ
وخندق عسكر الإفرنج يحكي ... عليه الخيلُ دراً في نظامِ
تراه خلفه الكومانُ يبدو ... كمنطقة علت ردف غلامِ
وخيلُ الشركِ تركضُ خلفه في ... ذيول خيامهنَّ على الدوامِ
يثرن إذا ركضنَ عليه نقعاً ... بلا فعل حكي سحب الجهامِ
وكم مستأمن قد فرَّ منهم ... لأجل الجوع أو طول المقامِ
وكم من فارس منهم قتيلاً ... ولا قبرٌ له غيرُ القتامِ

إذا قصفتُ الرماح عليه لاحتُ ... بدا مثل الحريص على الحطامِ
أظنُّ الله ما أفناه إلا ... بسيفِ عليِّ الملكِ الهمامِ
هو الملكُ الجسيمُ البأسِ أضحي ... يقارنه مع النعم الجسامِ
هو البدرُ الذي ما زال يديني ... شهاب الرمح أو برق الحسامِ
تراه سافراً في الحرب لكن ... يلوح من العجاجة في لثامِ
إذا زفتُ إليه عروسُ حربٍ ... جفا في وصلها طيب المنامِ

وسؤددُ نفسه ما زال يزري ... بما قد جازَ منه على عصام
أيا ملكَ الملوك ولا أحاشي ... ويا خير الأنام ولا أحامي
عجبتُ لنار عزمك كيف تبقى ... ولا تطفى وبحرُ نذاك طامي
وأعجبُ منه أمنُ الناسِ لما ... رأوكَ وأنت كالليثِ المحامي
يحلُّ الدرُّ في الحصباءِ قدراً ... محلك إذا تضافُ إلى الكرام
ومن سواك فضلاً مع مليكٍ ... كمن سوى الحسام مع الكهام
وهل نجمُ السها في الجو نوراً ... يقاس بهجة البدر التمام
وقد سيرتُ نحوكَ بنتَ فكري ... عروساً ما ترفُّ إلى اللثام
لقد وشحتها بحلى المعاني ... كما ألبستها حلل الكلام
وقد أبتعها أيضاً كتاباً ... بعنتُ به إلى الهمم السوامي
أتى ليسوق لي سحبَ العطايا ... كفعل الريح بالغيثِ الرهام
فعجل لي مجودك يا مليك ال ... أنام فقد أطلتُ له مقامي
ودونك فاستمع سحراً حلالاً ... أتى يلهي عن السحر الحرام
فخيرُ الشعر أكرمه رجالاً ... وشر الشعر أقوالُ الطعام
وعش لا زلتَ مجتنب الرزايا ... ودم لا زلتَ مرعيّ الذمام
بسم الله الرحمن الرحيم. عونك اللهم.

أما بعد حمداً لله العزيز القهار، عالم خفايا الأسرار، وبوادي الأجهار المنزه غيبه عن الإشهار والإظهار، مقدر كل ما يحدث في سواد الليل وبياض النهار المتكفل للإسلام بأعلى المنار، المؤلف بين قلوب أهله فأصبحوا بنعمته إخواناً، بعد أن كانوا على شفا جرف من النار، الذي لا ينجو مما قدره دان ولا عال، ولا يحصن مما يريده سهول الظباء ولا أوعار الأوعال. أشهد أنه لا إله إلا هو الكبير المتعال، والصلاة على محمد نبيه وعبده، وعلى أصحابه الذين هم أفضل الخلق من بعده، فإن الأرض لما أخذت زخرفها وازينت، وظهرت علامات سعدها وتبينت، وتسلمت من الخطوب كتاب أمانها، وعاد ربيعاً كل زمانها، وتحلت بعقود من جواهر زهرها النضر، وطال عمر ربيعاً الحضر، وأصبحت لأهلها بعد أن طالت شرستها، ولانت لأربابها لما حسنت سياستها، ووصلت لأرباب الفضائل وكانت هجرت، وهب عليهم نسيم أصائلها بعد أن هجرت، ويسرت عليهم أمورهم وكانت عسرت، وأطلقتهم من وثاق الفقر بعد أن قسرت وأسرت، وجبرتهم من صدع النوائب حين حطمت وكسرت، وسكنت عنهم بحار الخطوب بعد أن طمت، وأوقعت دونهم رياح الفتن بعد أن حطمت. وعادت محجتها بيضاء من الحق وكانت سوداء من الباطل، وأوفت أهل الفضل ديونهم، وكم أوفت على الغرير المماطل بما شملها من أيام مولانا السلطان العادل، الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، منقذ بيت الله المقدس من الكفرة المشركين، أبي المظفر يوسف ابن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين، الذي ملكها فما جار بل عدل، وسلكتها فما حد عن طريق الحق ولا عدل. وأثارت رياح عزائمه سحب جوده وسرت الدنيا وسائر أهلا بوجوده، وأحيا طلل المجد بعد أن كان دائراً، وشعر بفضله فأضحى

بسيفه ورمحه للبرود والرءوس من الكماة ناظماً وناثراً. ونجده الملك الأفضل العالم العادل، الجاهد المرابط. المؤيد المظفر، المنصور، نور الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلوم من الظالمين، قانع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والتمردين قسيم الدولة، فخر الأمة مجير الملة، ناصر أمير المؤمنين، الذي سرت مآثره شهياً في ظلمات الخطوب، وظهرت مكارمه بشراً في وجه الزمان بعد كثرة القلوب، وأدجت بنات الأفكار في ليل الغرائب إليه؛ فحمدت عند الصباح وجه السرى، وأقسم الزمان بأن نظير مجده ما رآه، ولا يرى.

وإذا نظرتَ إليه قلتَ كأنه ... بدرُ الدجى إن لاحَ أو ليثُ الشرى

فله هو من ملك ما أوسع صدره وأفسحه، وأعذب لفظه وأفصحه، وأمنع جاهه وأحصنه، وأجمل أدبه وأحسنه، وأسح جوده وأمطره، وأطيب ذكره وأعطره. إن ذكرتَ الكرم فهو أوسه وخاتمه، وإن ذكرتَ الجد فهو فاتحه وخاتمه، أو وصف البأس فعنترة فيه خادمه. قد اختالت به الأندية والحافل، وزهت به الكتائب والحافل، وازدانت به الطروس والأقلام، وارتاحت له البنود والأعلام، فوجب على من شملته حاشيتنا دولته، وضمته حسن إيلته؛ أن يذل جهده في الخدمة بما تصل قدرته إليه، ويرجو به حسن الزلفى لديه.

ولما كان المملوك ممن يشرف بوطء البساط الكريم، ويميز بانتسابه إلى المقام العظيم تأكد الوجوب عليه في توالي ما يخدم به من خدمه، وتعين له ذلك لأن يلتحق بمن اشتهر بأوليته في الخدمة وقدمه، فظفر فيما يخدم به الجنب الأسمى - زاده الله سمواً وعلواً - فوجد فن التشبيه بين الأشعار عالي القدر، نابه الذكر، لا يمكن كل الناس سلوك جادته، ولا يقدر إلا اليسير منهم على إجادته، حتى استهوله أكثر الشعراء واستصعبه، وأبى بعضهم أن يجهد بأن يروض مصعبه، وقالوا إذا قال الشاعر كأن فقد ظهر فضله أو جهله، ولم يجد أحداً من المؤلفين ولا مصنفاً من المصنفين اشتغل بتميز ذهبه عن مدره، ولا خاض في بحاره لاستخراج درره، ولا انتقى خلاصةً من خبثه ولا فصل جده من عبثه، فاختر هذا الجموع شهد الله من أكثر من خمس عشرة ألف ورقة، وجمع فيه جهلاً من غرائب أبياته، ومعجزات آياته، ليكون أنساً للمجلس الأسمى في هذا الوقت وأمثاله، وطلبةً لما بعده مما يرد عليه الأمر باقتفاء مثاله، واختصره غاية الاختصار، واقتصر على المحاسن أشد الاقتصار لمعرفته باشتغال المجلس الأسمى بتدبير الكتائب، وتجهيز العساكر والمقانب، وحسن القيام بإيالة الخلائق، وتعلقه من أمر الحروب بأشد العلائق. والمملوك يستعين بالله تعالى ويسأله أن يرزقه من المجلس موافقة الغرض ويقويه من الخدمة على أداء المفترض.

وهذا حين نبتدئ مستعيناً بالله، ومتوكلاً عليه، راجباً في العصمة من الغلط إليه، بعد تسمية الكتاب وتبويبه، وتنميق مقصده وترتيبه.

أما الاسم: فغرائب التنبهات على عجائب التشبيهات، ومقصود الكتاب ينحصر في ستة أبواب: الباب

الأول: في تشبيه الأجرام العلوية.

الباب الثاني: في تشبيه المياه والأنهار.

الباب الثالث: في تشبيه الأنوار والأثمار والنبات.

الباب الرابع: في التشبيه الواقع في الخمريات.

الباب الخامس: في التشبيه الواقع في الغزل.

الباب السادس: في تشبيهات مختلفة.

الباب الأول

تشبيه الأجرام العلوية

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في ذكر التشبيه الواقع في الهلال

من أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز من مزدوجته:

وقد بدت فوقَ الهلالِ كرتُهُ ... كهامةِ الأسودِ شابتَ لحينهُ

وكذلك قوله:

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلالُهُ ... الآنَ فاغْدُ على الشرابِ وبكرٍ

وانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ ... قد أثقلتُهُ حمولةٌ من عنبرٍ

وأخذ هذا المعنى ظافر الحداد فقال من قطعة:

والجو من شفقِ الغروبِ مفروّزٌ ... كحديقةٍ حفتُ بورِدِ أحمرٍ

وبدا الهلالُ لليلتينِ كأنهُ ... فترٌ حوى تفاحةً من عنبرٍ

وأخذ ابن قلاقس قول ابن المعتز وزاد عليه زيادة من قبل الصنعة فقال:

أنظرُ إلى الشمسِ فوقَ النيلِ غاربةً ... وانظرُ لما بعدها من حمرةِ الشفقِ

غابتُ وأبقتُ شعاعاً منه يخلفها ... كأنما احترقتُ بالماءِ في العرقِ

وللهلالِ فهل وافى لينقذها ... في إثرها زورقٌ قد صيغَ من ورقٍ

ومن هذا الإعجاز قول أبي منصور الديلمي أنشده الثعالبي في تنمة اليتيمة:

وحاكي هلالِ الأفقِ في أعينِ الورى ... مرأةً تبدى بعضها من إهابها

ومما ينسب إلى ابن المعتز هذه الأبيات:

قم فاسقني الخمرَ يا نديمي ... فإنه آفةُ الهمومِ

فقد تبدى هلالُ شهرٍ ... قدومه أيمنُ القدومِ

كأنهُ في السماءِ فحٌّ ... يتظر الصيدَ للنجومِ

وزاد عليه القاضي التوحي فقال:

اسقني واسقٍ صاحبي ... بأكفِّ الكواكبِ
من مدامٍ مزجتها ... بلموعِ السحابِ
والهلالُ الذي يلو ... حُ خلالَ السحابِ

مثل فحٍّ من اللج ... ين لصيدِ الكواكبِ

وقال أبو بكر الخالدي وقصر:

ربَّ ليل فضحته بضياءِ ال ... راح حتى تركته كالنهارِ

ذي سماءٍ كخرم ونجم ... مشرقات كنجس وبهارِ

وهلال يلوخُ في ساعدِ الغر ... ب كدبوس فضة أو سوارِ

وأجود منه قول الأمير تميم، وإن كان مأخوذاً منه:

ربَّ صفراءَ عللني بصفرا ... ء وجنح الدجى خليعُ الإزارِ

وكأنَّ الدجى غدائرُ شعرٍ ... وكأنَّ النجومَ فيه مداري

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدى ... في يدِ الأفقِ مثل نصفِ سوارِ

وأخذه علي بن محمد بن حبيب التميمي من قصيدة:

ولا ضوء إلا من هلالٍ كأنما ... تفرق منه الغيم عن نصف دملج

وأخذه الشريف أبو الحسن علي بن إسماعيل الزبيدي القيرواني فقال من قصيدة:

كأنَّ طلوعَ أنجمه كزوسٍ ... سقى الشرقُ الغروبَ بها عقارا

وفي ذيلِ الغروبِ سليلُ شمسٍ ... كما شطرت منعمةً سوارا

وأخذه نشو الملك بن المنجم وزاد عليه، وذكر غروب الشمس فقال:

وعشي كأنما الأفق فيه ... لازوردٌ مرصعٌ بنضارِ

قلتُ لما دنتُ لمغربها الشم ... سٌ ولاحَ الهلالُ للنظارِ

أقرضَ الشرقُ صنوهُ الغربِ دينا ... رأ فأعطاهُ الرهنَ نصفِ سوارِ

ومن الشعر الذي تظهر عليه الشطارة قول مؤيد الدين الطغرائي أبي إسماعيل:

قوموا إلى لذاتكم يا نيام ... وأترعوا الكاس بصفو المدام

هذا هلالُ الشهرِ قد جاءنا ... بمنجلٍ يحصدُ شهرَ الصيام

وقال ابن وكيع من قصيدة:

ولاح لي هلالها ... كهوسِ رامٍ إذ يغطُ

أو حاجبٍ ذي شمتٍ ... ظلَّ من التيه يمتُ

وزاد المملوك على هذا زيادة من طريق الصنعة فقال:

انظر لحسن هلال الجو كيف سرى ... إلى منازلها في غاية الصغرِ

كأنما قوسه ما بينَ جبهته ... وطرفه حاجبٌ قد شابَ في كبر
وقال ابن حمديس في طلوع الهلال، عند السحر في أواخر الشهر وأجداد:
وربَّ ليلٍ سهرناه وقد طلعتُ ... بقيةَ البدرِ في أولىَ بشائره
كأنما أدهمُ الإظلامَ حينَ نجا ... من أشهبِ الصبحِ ألقى نعلَ حافره
ومما ينسب إلى ابن المعتز:

قم يا غلامُ فهاتها كرخيةً ... حمراءَ تحكي حمرة المارينج
وانظر إلى حسنِ الهلالِ كأنه ... نونٌ مذهبةٌ على فيروزج
وقال السري من قطعة:

ضحكتُ أوجه اللذاذة بالفظ ... رٍ ولاحتُ طوالعُ السراءِ
وكأنَّ الهلالَ نونٌ لجينٍ ... غرقت في صحيفة زرقاء
وأخذه الوأواءُ فقال:

هالها من خللِ السحابِ ... كمذهبِ النونِ من الكتابِ
أو طرفِ السيفِ من القرابِ

وأخذه أبو عبد الله بن الحدادِ الأندلسي أخذاً عجيباً فقال:
وبدا هلالُ الفطرِ فيها سائراً ... وسطَ السماء كأنه العرجون
فكأنَّ بانَ الصومِ خطٌ بجوه ... خطأً دقيقاً بانَ منه النونُ
وأخذه ظافر الحداد فقال:

لما تجلَى هلالُ العيدِ عادَ ... بما قد كنتُ آنسُ من هوٍ ومن طربِ
يلوحُ في الأفقِ الغربيِّ من شفقٍ ... كالتونِ خطتُ على لوحٍ من الذهبِ
وللسري الموصلِي، وأجداد:

ألا عد لي بباطية وكاس ... ورع همي يابريق وطاس
وذكرني بشعر أبي نواس ... على روض كشعر أبي فراس
وغيمٍ مرهفات البرق فيه ... عوارٍ والرياضُ به كواسي
وقد سلتُ جيوشَ الفطرِ فيه ... على شهرِ الصيامِ سيوفَ باسِ
ولاحَ لنا الهلالُ كشطِ طوقٍ ... على لبابِ زرقاءِ اللباسِ
وقد أرى هذا على قول ابن المعتز:

وكأنَّ الهلالَ طوقُ عروسٍ ... بات يجلي على غلائلِ سود
وقال ظافر الحداد وأجداد:

أما ترونَ هلالَ العيدِ حينَ بدا ... للعين منه بقايا جرمِ دائره
كحرفِ جامٍ من البللورِ قابله ... ضوءٌ وأخفى الدجى إشراقَ سائره
أو درهمٌ فوق دينارٍ تجللهُ ... سترًا وضاقَ عن استيعابِ آخره

وقال ابن المعتز من قصيدة:
ولاح ضوء هلالٍ كادَ يفضحنا ... مثل القلامه قد قدت من الظفرُ
وقال علي بن محمد بن حبيب التميمي من قصيدة:

في ليلةٍ أنفٍ كأن هلالها ... صدحُ تين في إناء زجاج
كفل الزمان لأختها بزيادة ... من نوره فأتى كوقف العاج
وقال من أخرى:

فلما قضى منه السحاب قضاءه ... وأنفق في تحديقهِ كل ناظرٍ
بدا مستدقَّ الجانبين كأنه ... على الأفقِ الغربيِّ مخلبُ طائرٍ
وهو من قول ابن وكيع:

طاف بها يجلو ظلام الغييب ... كالبدرِ يمشي في الدجى بكوكبٍ
وقد بدا ضوء هلالٍ أحذب ... يلوح في الجو كقربي عقربٍ
كمنسرٍ من طائرٍ أو مخلبٍ
وقال التميمي أيضاً من قصيدة:

إذا استتبته العين لآح كأنه ... وقد كادَ يحفى في الدجى خطُّ مفرقٍ
وأضمره الإسهاد حتى كأنه ... على الأفقِ الغربيِّ قوسٌ مفوقٍ
وقال ابن وكيع من قطعة:
يلوح لي هلالها ... كمثل نصفِ الزردة

الفصل الثاني

تشبيهه مع الثريا وسائر النجوم

ومن أحسن ما سمع المملوك في ذلك هذان البيتان، وهما منسوبان إلى ابن المعتز:
كأنما الليل والهلالُ وقد ... بدتْ نجومُ السماء منقضه
رام من الزنجِ قوسه ذهبٌ ... ينثر منه بنادقَ الفضة
وقال ابن قلاقس فيه وفي النجم من قصيدة:
ألم وقلبُ البرقِ في الجو خافقٌ ... حذاراً وطرفُ النجمِ في الجو ساهدُ
وفي جيد زنجيِّ الدجى من هلاله ... وأنجمه طوقٌ له وقلاتدُ
وقال أيضاً فيه وفي الثريا:
يا ربَّ ليلٍ قد نضى لباسه ... لم يلبث النجمُ به أن جاسه
دع امرأ القيس ودع أمراسه ... فترُ الهلال سرعةً قد قاسه

منكساً نحو الثريا رأسه ... هل تعرف العرجون والكباسه
وهذا غاية في الجودة.

وقال مؤيد الدين الطغراني فيه وفي الثريا:

وترى الثريا والهلالَ مظاهراً ... بمعنبرٍ في حلةٍ ومجسدٍ
كالدُرِ فصلٍ في وشاحٍ خريدهٍ ... حسناء تجلى في نقابٍ أسودٍ
وكأنه وكأنها من فوقه ... عنقوداً في زورقٍ من عسجدٍ
ولأبي عصام البصري فيه وفي الثريا والزهرة وأحسن:
رأيتُ الهلالَ وقد أهدقت ... هُ نجومُ الثريا لكي تسبقه
فشبهته وهو في إثرها وبين ... هما الزهرةُ المشرقةُ
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً ... فأتبعَ في إثره بندقةُ
وله فيه وفي الزهرة:

قارنَ الزهرَ الهلالُ وكانا ... في افتراقٍ من غيرِ صدٍّ وهجرةٍ
وإذا ما تقارنا قلتُ طوقٌ ... من لجينٍ قد ركبَتْ فيه درةُ
وقال الوأواء من قطعة:

ما ترى الصبح كيف قد غلب اللي ... لَ وقد أقبلَ النسيمُ العليلُ
وكانَ الهلالَ تحتَ الثريا ... ملكٌ فوق رأسه إكليلُ
وللأمير أبي الفضل الميكالي فيه وفي الزهرة:

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا ... تحتَ هلالِ ضوءه يحكي اللهبُ
ككرةٍ مجلوةٍ من فضةٍ ... أوفى عليها صولجانٌ من ذهبٍ
وقال ابن المعتز فيه وفي الثريا:

زارني زائري وقد هرمَ اللي ... لُ ودبَّ المشيبُ في عارضيه
وكانَ الهلالَ نصفُ سوارٍ ... والثريا كَفَّ تشيرُ إليه
وينسب إليه من قطعة فيها:

يتلو الثريا كفاغرٍ شره ... يفتحُ فاهُ لأكلِ عقود
وقال المملوك فيه وفيها من قطعة:

والليلُ قد أبدى الثريا جناحه ... فكأنه موسى يضمُّ يمينه
وكانَ بحرَ الليلِ درجٌ أسودٌ ... خطَّ الهلالُ به بتبرٍ نونه
وقال أيضاً فيه وفيها وفي الليل من قطعة:

ولاح ظلامُ الليلِ فيه هلاله ... ونجمُ الثريا للغروبِ قد اقتربُ
كأدهم نهد ذي هلالٍ مفضض ... على ظهره قد شد سرجٌ من الذهبُ
وقال أيضاً في صباه فيه وفي الليل والنجوم:

انظرُ إلى جو السماء وقد بدا ... فيه الهلالُ لدى نجم كاللهبُ
وكانَ جبحَ الليلِ ثوراً أبلقاً ... وهلاله فيه قرونٌ من ذهبٍ
وقال أيضاً من قطعة:

ولاحَ في الغربِ هلالٌ حكى ... مع الشريا في الدحي حينَ لاحُ
فخَّ نصارٍ قد رأى شخصه ... طيرٌ فأهوى نحوهً بالجناحِ
والبيت الثاني فيه زيادة على قول ابن المعتز:
كأنه في السماء فخَّ ... يتظرُ الصيدَ للنجوم

الفصل الثالث

تشبيهه عند انتصافه، وكماله، وفي حالات مختلفة

قال أبو بكر الخالدي فيه عند تستره بالغيمة، وأجاد:
والبدرُ منتقبٌ بغيمة أبيض ... هو فيه بينَ تخفُّرٍ وتبرجِ
كتنفسِ الحسنةِ في المرأةِ قد ... نظرتُ محاسنها ولم تتزوج
وأخذهُ ابنُ برد الأندلسي فقال من قطعة:
والبدرُ كالمرآة غيرَ صقله ... عبثُ العذارى فيه بالأفلسِ
وقال إبراهيم بن محمد المرادي القيرواني يلغز فيه ويشبهه في حالات مختلفة، ويمدح المعز بن باديس ملك
القيروان:

دع ذا وقل للناس ما طارق ... يطرقهم جهلاً ولا يتقي
ليس له روحٌ على أنه ... يركبُ ظهرَ الفرسِ الأبلقِ
شيخٌ رأى آدمَ في عصره ... وهو إلى الآنَ بخدِّ نقي
هذا ويمشي الأرض في ليلة ... أعجبُ به من موثقٍ مطلقِ
وتارةً يوجد في مغرب ... وتارةً يوجد في مشرقِ
وتارةً تبصره عائماً ... يسري بشاطئِ البحرِ كالزورقِ
وتارةً تلقاه في لجة ... من فوقه الماءُ ولم يغرقِ
وتارةً تحسبه وهو في ... سترته والبعضُ منه بقي
ذباباً من صارمٍ مرهفٍ ... بارزةً من جفنه المطبقِ
ذو زوجةٍ أضحى له حسنها ... يخطفُ الأبصارَ بالروتقِ
حتى إذا جامعها يرتدي ... بحلةٍ كالورقِ المحرقِ
وهو على عادته دائماً ... يجامع الأنتى ولا يلتقي
ثم يجوبُ القفرَ من أجلها ... مشتملاً في مطرفِ أزرقِ

وجسمه من ذهب جامدٍ ... وجلده صيغٌ من الرقيق

ثم يرى في حين إتمامه ... مثل مجنّ الحرب للمتقي

وهو إذا أبصرته هكذا ... أحسنٌ من صاحبة القروطق

كأنه وجه المعزّ الذي ... تاه به الغربُ على المشرق

وينسب إلى ابن الرومي في مثله:

يا من كغرفته الهلالُ أما ترى ... قمرَ السماءِ وقد بدا في المشرقِ

كخريدةٍ نظرت إلى إلفِ لها ... فتنقبت خجلا بكمّ أزرقِ

وقال الوأواء:

والبدرُ أول ما بدا متلثماً ... ييدي الضياءَ لنا بخدّ مسفرٍ

فكأنما هو خوذةٌ من فضةٍ ... قد ركبت في هامةٍ من عنبرٍ

وقال الطغراني مؤيد الدين في مقابلة النيرين:

فكأنما الشمسُ الميرةُ إذا بدت ... والبدرُ يجنحُ للمغيب ويغربُ

متحاربان مجنّ ذا قد صاعه ... من فضةٍ ولذا مجنّ مذهبُ

وقال ابن مكنسة الإسكندري:

أما ترى البدرَ وقد ... شقّ قميصَ الغسقِ

كأنه وجهُ السما ... ء في قناعِ أزرقِ

ومن قصيدة للشريف أبي الحسن علي بن إسماعيل الزبيدي:

ألمّ وفوق رأسِ الليل تاجٌ ... مكلفةٌ جوانبه بدرٌ

وقد حملت به كفُّ الثريا ... جني الوردِ أبيضَ غبّ قطرٍ

كأن الزهرة الغراء فيه ... وقد طلعت يتيمةً درّ بحرٍ

وقد ولى الظلامُ ببدرٍ تمّ ... كأسودَ حاملٍ مرآةٍ تبرٍ

ويقرب من هذا قول سليمان بن محمد الطرابلسي من قطعة:

الويح لي من طولِ ليلٍ ... كدت أنفذُ قبلَ ينفذُ

سامرت فيه كواكباً ... كمصايحِ الرهبانِ ركذُ

فكأنها در تنا ... ثرَ فوقِ أرضٍ من زبرجدُ

والبدرُ في وسطِ السما ... ء كدرهم في كفّ أسودُ

وقال ابن وكيع في الجوزاء وفيه:

وليلةٍ أحييتها ... ما بين عجبٍ وعجبُ

طار بنا في جناحها ... جناحُ هوٍ وطربُ

والبدرُ قد أهدى لنا ... في ظلمةِ الليلِ شهبُ

وقد دنتُ جوزاؤه ... إليه تسعى من كئبُ

كأنها روميةٌ ... في أذنها شنفُ ذهبُ

وقال ابن رشيقي فيه وفي الثريا:

يا ربَّ ليلٍ بنه ... مثل مبيتٍ لنابعه

ولم يساورني سوى ... عقربِ صدغٍ لادغه

وقد بدا البدرُ المني ... رُ والثريا بازغة

كأنه ترسُ جينٍ ... حولَ درعٍ سابعه

وقال أيضاً من قطعة:

والثريا قبالةَ البدرِ تحكي ... باسطاً كفه ليأخذَ جاما

وقال ابن بابك في أرجوزة:

والبدرُ كالمرآةِ واللآلئِ ... حليتها كواكبُ الجوزاءِ

كأنه في كبدِ السماءِ ... حديقةٌ فيها غدِيرُ ماءِ

وقال في المعنى من قصيدة:

والليلِ درعٌ قد تسمرُ ظلُّه ... والنجمُ في لحظاته إغضاءُ

والبدرُ يضحكُ كالغدِيرِ تكشفت ... عن جانبيه حديقةُ خضراءُ

ولأبي نصر سهل بن المرزبان فيه وفي الثريا:

كم ليلةٍ أحبيتها ومؤانسي ... طرفُ الحديثِ وطيبُ حثِّ الأكوُسِ

سميتُ بدرَ سمائها لما دنت ... منه الثريا في ملاءةِ حنلسِ

ملكاً مهيباً قاعداً في روضةٍ ... حياةُ بعضِ الزائرينِ بنرجسِ

وقال أبو محمد عبد العزيز الحاكم المعافر الصقلي:

وكانَ البدرُ والمريخُ إذا وافي إليه ... ملكٌ يوقدُ ليلاً شمعةً بين يديه

وقال علي بن محمد بن حبيب التميمي من قصيدة:

ورأيتُ العشري كجدوةِ نارٍ ... والثريا كالجوشنِ المُرورِ

وترى أنجمَ الحجرِ منها ... في مسيلِ كالجداولِ الممطورِ

وكانَ النجومُ زهرُ رياضٍ ... قد أحاطتْ من بدرها بغديرِ

بمنيرٍ قد استدار به التم ... مُ فأضحى كجمامةِ البلورِ

وقال ابن المعتز في تشبيهه عند انتصافه:

ما ذقتُ طعمَ النومِ لو يدري ... كأنَّ جنبيَّ على الجمرِ

في قمرٍ مستبرقٍ نصفه ... كأنه مجرفةُ العطرِ

الفصل الرابع

وصف الخمر

ومما يتعلق بوصف القمر ووصف ضوئه على الماء

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول القاضي التوخي:

لم أنسَ دجلة والدجى متصوب ... والبدرُ في أفقِ السماءِ مغربُ

فكأنها فيه رداءٌ أزرقٌ ... وكأنه فيها طرازٌ مذهبُ

وقال المملوك من قطعة يظن أنه زاد فيها على هذا المعنى:

والليلُ فرغٌ بالكواكبِ شائبٌ ... فيه مجرته كمثلِ المفرقِ

ولربما يأتي الهلالُ ببحره ... متصيداً حوتَ النجومِ بزورقِ

حتى إذا هبتْ على الماءِ الصبا ... وألحَ نورُ تمامه بالمشرقِ

أبدى لنا علماً بهيجاً مذهباً ... قد لاحت من تجعيدِ كم أزرقِ

وحكى برادةً عسجدٍ قد رامَ صا ... نغها يؤلفُ بينها بالزئبقِ

وهذا معنى غريبٌ لا يظنُّ المملوكُ أنه سبق إليه.

ومن أحسن ذلك أيضاً قولُ ابن التمار الواسطي:

قم فانتصفُ من صروفِ الدهرِ والنوبِ ... واجمعُ بكأسك شملَ اللهوِ والطربِ

أما ترى الليلَ قد ولتْ عساكرهُ ... مهزومةً وجيوشُ الصبحِ في الطبِ

البدرُ في الأفقِ الغربي تحسبه ... قد مد جسراً على الشطينِ من ذهبِ

وقد قال المملوك من قطعة زاد فيها على هذا المعنى من قبل الصنعة وهي:

بشاطي نهرٍ كالسماهِ نجومه ال ... حصى فوقه مثل الهلالِ سماري

فلما أتانا عسكرُ الليلِ راكباً ... على الشهبِ في نقعِ الدياترِ ساري

ألحَ عليه البدرُ في الغربِ نورهُ ... فسارتْ خفايا فوئهُ ودراري

كأنَّ جيوشَ الليلِ حاولنَ قطعهُ ... فمدَّ عليه البدرُ جسرَ نضارِ

ومن أطرف ذلك قول منصور بن كيعلغ:

قام الغلامُ يديرها في كفه ... فحسبتُ بدرَ التّم يلمُّ كوكبا

والبدرُ يجنحُ للأفولِ كأنهُ ... قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهباً

ومثله في الحسنِ قول ابن وكيع:

قم يا غلامُ أدرْ عليّ بسحرةٍ ... كأساً كقطعِ العيشِ بل هي أطيبُ

لا سيما والنيلُ يلمعُ فوئهُ ... بدرٌ لوقتِ مغيبه متصوبُ

وكانَ صفحَ الماءِ درجٌ أبيض ... فيه لضوءِ البدرِ سطرٌ مذهبُ

ويلحقه في الجودة قول الأمير تميم:

يا رب ليلٍ بته ناعماً ... بينَ ربي المختارِ والجسرِ

أخرجُ فيه لصباً من صياً ... وأستحثُّ الخمرَ بالخميرِ
والبدرُ قد شدَّ على نيله ... منطقةً من خالصِ التبرِ
وقال كشاجم:

ما زلتُ أسقاها على ... وجهِ غزالٍ موفقٍ
مختمٍ بمختمٍ ... بمثلهِ ممَّنطقٍ

والبدرُ فوقِ دجلة ... والصبحُ لما يشرقُ
كحلةٍ من ذهبٍ ... فوقَ رداءِ أزرقٍ

وقال علي بن محمد التميمي من قصيدة:

وتخالُ مطردَ الحبابِ بنوره ... في حيثُ ما استقبلتَ معدنَ زئبقٍ
يختالُ فوقِ الماءِ من لألائه ... في مثلِ منطقةِ اللجينِ المطرقِ
ومن أخرى له:

وكانَ السحابَ تدرُو على الأرز ... ضِ إذا قابلته مسكاً فتيقا

تتلقي أضواءه جبكُ الما ... كما لآعبَ الحبابُ الغريقا
كلما ارتجتُ الرياحُ عليه ... خلتَ منه بالماءِ قلباً خفوقاً
وقال السلامي من قصيدة:

على نهرِ سلٍّ في دجى الليلِ من رأى ... كواكبه زهراً تكاملنَ أم زهرا

إذا طلعتُ فيه النجومُ فما ترى ... به العينُ إلا الثلجَ مستودعاً خمرا

يرى قد أعادَ الليلُ مسكاً ثرى له ... وماءً أعادَ البدرُ فضتهُ تبرا

وأنشدني القاضي النفيسُ عبد الغني بن الفطرسى الكاتب لنفسه وأجاد فيه:

يا حبذا النيلِ وحس ... نٌ موجهِ المطردِ

والبدرُ يحكي فوقه ... من أفقه على يدِ

كجوشنٍ من فضة ... عليه ترسُ عسجدِ

وقال المملوكُ بديهاً على شاطئِ النيلِ:

جلستُ بشاطئِ النيلِ ليلاً وقد بدا ... به ضوءُ بدرِ النجمِ والماءُ مهتدي

فخلنا له من مائه سيفَ فضةٍ ... موشى من البدرِ المنيرِ بعسجدِ

وقال أيضاً:

تأملُ مياهَ الخليجِ الذي ... أتى لك من أمره بالعجبِ

وقد درجتُهُ الصبا سحرةً ... وقابلهُ البدرُ لما غربِ

حكى زرداً صيغَ من فضةٍ ... وقد موهوا بعضُهُ بالذهبِ

ولابن رشيقي من قصيدة:
وجرى شعاعُ البدر فيه فائتي ... كاللازورد المذهب الأثني

الفصل الخامس

تشبيه ضوء البدر على الماء

ومما يتعلق بذكر تشبيه ضوء البدر على الماء

ذكر التشبيه المستحسن في ضوء الشمس والسرج

ومن أحسن ما قيل في تشبيه ضوء الشمس على الماء قول ابن المعتز ووصف إيلا:

فتبدي هُنَّ بالنجفِ المقفى ... ماءً صافي الجمام غريُّ
يتمشى على حصي يسلبُ ... الماءُ قذاهُ فمتنه مجليُّ
فإذا قابلتهُ ذرةُ شمسٍ ... خلته كسرتُ عليه الحلي
وقال ابن قلاقس من قطعة:

ولللبل تحت ثياب الأصبى ... ل لجين توشح بالعسجد
فأشبهه إذ درجته الصبا ... برادة تبر على مبرد

وقال مؤيد الدين الطغراني في تشبيه الشمس قابلت غديرا:

حول غدِيرِ ماؤه دارعٌ ... والأرضُ من رفته حاسره
قد ركب الخضراء فيه فمن ... حصائه أنجمها الزاهره
والشمسُ إذ حادثه وقت الضحى ... حسناء في مرآتها ناظرة
وهذا من قول ابن المعتز يصف غديرا:

ما إن يزال عليه ظيُّ كارعٌ ... كتطلع الحسناء في المرآة
وقال ابن وكيع:

غدِيرٌ تدرجُ أمواجهُ ... هبوبُ الرياح ومرُّ الصبا
إذا الشمسُ من فوقه أشرقَتْ ... توهته زرداً مذهباً
وقال السلامي من قطعة:

ونهرٌ تمرحُ الأمواجُ فيه ... مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرتُ عليه الشمسُ خلنا ... نثير الماءِ يمزج بالعقار
كأنَّ الماءَ أرضٌ من لجينٍ ... مغشاة صفائح من نضار
وقال أيضاً من قصيدة:

ولم تر بجرأ جرى بالعقار ... ولا ذهباً صيغ منه جبل

إلى أن جرت دجلة بالشعاع ... وطنب بالنور أعلا القلل
وكنا نرى الموج من فضة ... فذهبه النور لما اشتعل
وقال البحري في بركة الجعفري:

إذا علتها الصبا أبدت لها حيكاً ... مثل الجواشن مصقول حواشيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبت سماء ركبت فيها
وقد أخذ هذا الصنوبري فقال:

ولما تعالى البدر واشتد ضوءه ... بدجلة في تشرين بالطول والعرض
وقد قابل الماء المفضض نوره ... وبعض نجوم الليل يطفي سنا بعض
توهم ذو العين البصيرة أنه ... يرى باطن الأفلاك في ظاهر الأرض
ولأبي الحسن الصقلي في تشبيه ضوء السراج على الماء، وأحسن:
شربنا مع غروب الشمس شمساً ... مشعشة إلى وقت الطلوع
وضوء السراج فوق الليل بادٍ ... كأطراف الأسنه في الدروع
وذكر أبو الصلت أمية في يوم المهرجان إلى الأفضل:

أبدعت للناس منظرًا حسنًا ... لا زلت تحب السرور والطربا
ألفت بين الضدين مقتدرًا ... فمن رأى الماء خالط اللهب
كأنما الماء والشموع به ... أفق سماء تألقت شهباً

قد كان من فضة فصيره ... توقد النار فوقه ذهباً
وأنشدني الفقيه همام بن راجي الله لنفسه:

رأيت الماء قابله سراج ... ولاح الضوء من فوق الحباب
فقلت لصاحبي لما اجتمعنا ... هدى البرق من خلل السحاب
وهذا مأخوذ من قول غلام البكري الأندلسي:

أعجب بمنظر ليلة ليلاء ... تحبى بها اللذات فوق الماء
في منظر يزهي بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الغناء
قرنت يده الشمعتين بوجهه ... كالبر بين النس والجوزاء
والتاح تحت الماء ضوء منهما ... كالبرق يخفق في غمام سماء
وأخذه غلام البكري من قول إبراهيم بن غانم القيرواني في البحر:
يأتيك من كدر الزواجر متنه ... بممسك من مائه ومصنل
وكأن ضوء البدر في تمويجه ... برق تموج في سحاب مقل
وقال المملوك من مزدوجة:

والشمس قد مالت لنحو المغرب ... فموهت لجينه بالذهب

وفتحتُ في ساعةِ الأصيلِ ... وردتْها في خدهِ الأسيلِ
كأنْما النورُ وتدرجُ الصبا ... ينشرُ فوقَ الماءِ درعاً مذهبا

الفصل السادس

تشبيه الثريا

ففيما قيل في تشبيه الثريا

أحسن ما قيل فيها قول الحاتمي:

وليلٍ أقمنا فيه نعملُ كأسنا ... إلى أن بدا للصبحِ في الجوّ عسكرُ
ونجمُ الثريا في السماءِ كأنه ... على حلةِ زرقاءَ جيبٌ مدرُ
وقال ابن حمديس:

وليل رسونا في عُبابِ ظلامه ... إلى أن طفا للصبحِ في أفقه نجمُ
وكانَّ الثريا فيه سعُ جواهر ... يفصلها جزعُ به فصل النظمُ
وتحسبها في جحفل الليل سرية ... عمائمهم بيضٌ وخيلهم دهمُ
كانَّ السها مصنّى أتوه بنعشه ... ذووه فظنوا أن موتته حتمُ
وأجمع ما قيل في تشبيهها قول السلامي:

والثريا كرايةٍ أو كجامٍ ... أو بنانٍ أو طائرٍ أو وشاح
ويقرب منه قول الصنوبري، وقيل إنه لابن المعتز، وذكره الصولي:

قم فاسقني والظلامُ منهزمٌ ... والصبحُ بادٍ كأنه علمُ
والطيرُ قد طربتُ وأعربتُ الأ ... لجاناً طراً لكنها عجمُ
وميلت رأسها الثريا بأس ... رار إلى الغربِ وهي تحتشمُ
في الشرقِ كَأْسٌ وفي مغاربها ... قرطٌ وفي أوسطِ السما قدمُ
وأخذ أبو علي ابن رشيقي بعض هذا المعنى فقال:

وليلٍ بعيدُ الجانينِ سهرته ... مع النجمِ حتى مقلني ليس تطقُ
وقد جنحتُ فيه الثريا كأنها ... على عاتقِ الجوزاءِ قرطٌ معلقُ
وقال السريُّ الموصلِي:

كانَّ الثريا راحةً تشبر الدجى ... لتعلمَ طالَ الليلُ لي أم تعرضا
فاعجبُ بليلٍ بين شرقٍ ومغربٍ ... يقاسُ بشبرٍ كيفَ يرجي له انقضا
وأخذ أبو الوليد ابن زيدون، ونقص منه فقال:
زارني بعد هجعةِ والثريا ... راحةً تقدرُ الظلامَ بشبرِ

وقال ابن وكيع:

ومشمولة من بنات الكروم ... تميمت المومم وتجي الجنل
تناولتها وشباب الظلام ... قد شاب من فجره واكتهل
وقد شاكلت في أديم المساء ... نجوم الثريا للحظ المقل
دنابر أعطتكها راحة ... سواد الخضاب بما قد نصل

وقال عبد الوهاب الأزدي القيرواني، المنعوت بالمشعل فيها وفي المريخ والمشتري:

كأنها راحة أشارت ... لأخذ تفاحة وكس

وقال ابن رشيقي فيها وفي المريخ والمشتري:

رأيت جهرام والثريا ... والمشتري في العيان كرة

كراحة خيرت فحارت ... ما بين ياقوتة ودره

وقال ابن الرومي:

والثريا كأنها ... في بروج المطالع

كف خود تختمت ... في رءوس الأصابع

وأخذ الوأواء فقال:

كأنما الفرقدان فيه ... على الثريا مراقبين

كأنها كف لازورد ... فيها تطاريف من لجين

وأخذ ابن هانئ الأندلسي، وزاد عليه فقال:

وولت نجوم للثريا كأنها ... خواتم تبدو في بنان وتحنفي

وقال ابن خفاجة:

وكأنما نجم الثريا سحرة ... كف تمسح عن معطف أشهب

ولنصور بن كيغلغ:

رب ليل سهرت حتى تجلي ... مغرماً في ظلامه أتملي

والثريا كأنها رأس طرف ... أدهم زين باللجام الخلي

وقال تميم بن المعز:

ألا سقياني درة ذهبية ... فقد ألس الآفاق جنح الدجى دعي

كأن الثريا والظلام يحفها ... فصوص لجين قد أحاط بها سبيج

ومما ينسب إلى ابن المعتز هذان البيتان:

ألا سقيها والظلام مقوض ... وطرف الدجى نحو المغرب يركض

كأن الثريا في أواخر ليلها ... تفتح نون أو لجام مفضض

ولأبي العباس الضبي:

خلتُ الثريا إذ بدتُ ... طالعةً في الحنلس

مرسلةً من لؤلؤٍ ... أو باقةً من نرجس

وقال حسين بن المهذب:

كأنما الليلُ والثريا ... تسيحُ في جوه وتجري

زنجيةً جردتُ فأبدتُ ... في صفحةِ الصدرِ عقدَ درٍ

وقال ولده القاسم من قطعة:

وكأنها لما دنتُ لغروبها ... نارٌ تصوبُ هابطاً من مرقبِ

وقال ابن صرذر من قصيدة فيها:

وكأنها والشمل يجمعها ... رهطٌ قد اجتمعوا على سر

مثل العذارى من تعففها ... تستصحبُ الدبرانَ كالخدر

وقال ابن حمديس من قصيدة:

والثريا رجحَ الجو بها ... كابن ماءٍ ضم للجو جناح

وكان الشرق منها ناشقٌ ... باقةً من ياسمين أو أقاح

وقال النهامي من قصيدة:

وللثريا ركودٌ فوقَ أرحلنا ... كأنها قطعةٌ من فروةِ النمر

ومن قطعة للوأواء:

فتخبرتُ لها التشبي ... ة بالقول المصيبُ

وهي كأسٌ في شروقٍ ... وهي قرطٌ في المغيبُ

وقال ابن وكيع فيها:

أقولُ لبدري والخمارُ يكديني ... ولي طرق مجنونٍ وإطراقُ مرعش

ألا سقنيها والثريا كأنما ... كواكبها في جوها غصنُ مشمش

ولعبد الحسن الصوري من قطعة:

والثريا خفاقةٌ بجناح الغ ... رب تموى كأنها رأسُ فهدٍ

وللوأواء:

وكانَ الذراعَ تحتَ الثريا ... رايةً ركبتُ بغيرِ سنانِ

ولأبي الحسن البديهي:

ربَّ ليلٍ قطعتهُ باجتماعٍ ... مع ييضٍ من الأخلاءِ غرٍ

وكانَ الكؤوس زهرُ نجومٍ ... والثريا كأنها عقدُ درٍ

وقال ظافر الحداد:

كانَ أجمها في الليلِ زاهرةً ... دراهمٌ والثريا كفٌ منتقدِ

وليوسف بن حمويه القزويني:

زارني في الدجى فتم عليه ... طيب أردانه لدى الرقباء

والثريا كأنها كفتُ خودٍ ... أبرزتُ من غلالةٍ زرقاءِ

وأخذ المملوك فقال من مزدوجة:

والنجمُ قد لاحَ لنا بالمشرقِ ... ككف خودٍ في قميصِ أزرقِ

وقال ظافر الحداد:

كأن الثريا تقدمُ الفجرَ والدجى ... يضم حواشي سجفه للمغربِ

أخو سطوةٍ وافي فأومى بكفه ... على حنقٍ منه لتهديدِ هاربِ

وقال المملوك من قطعة:

يا نديمي بادر لشرب المدام ... واعص قولَ اللحاةِ واللوامِ

فانظرُ الجوّ كيفَ يضحكُ لما ... كسر النورُ عسكرَ الإظلامِ

وجيوشُ الصباحِ تتبع جيشَ الل ... يل لما ألحَ في الانهزامِ

وكانَّ السماءَ بندُ حريرٍ ... أسودَّ جاءَ مذهبَ الأعلامِ

والثريا كمثّل قرطٍ تبدى ... في يدِ الفجرِ من هبابِ الظلامِ

الفصل السابع

ما قيل في سائر النجوم من التشبيه

قال ظافر الحداد من قصيدة:

كأنَّ نجومَ الليلِ لما تبلجتْ ... توقدُ جمرَ في سوادِ رمادِ

حكى فوقَ ممتدِّ المجرةِ شكلها ... قواقعَ تطفو فوقَ لجةِ وادِ

وقد سبحتُ فيه الثريا كأنها ... بنيقاتُ وشى في قميصِ حدادِ

ولاحت بنو نعشٍ كنتقيطِ كاتبٍ ... ببسراهُ للتعليمِ أحرفَ صادِ

إلى أنْ بدا ضوءُ الصباحِ كأنه ... رداءُ عروسٍ فيه صبغُ مدادِ

وقال ابن شرف القيرواني من قطعة:

تحت الظلامِ الذي مثلَ الظليمِ جثا ... والبدرُ يبضته والأفقُ أدحى

حنى على واقعِ النسرينِ ذروتهُ ... كأنه بيدقُ باثنينِ محمى

وقد تولت بناتُ العرشِ هابطةً ... كأنما هي في بحرِ سماري

وقيصرُ الشرقِ قد أبدى طلائعه ... واهمدَّ بالمغربِ الجيشُ النجاشي

وقال القاضي التوخي:

كأنما المريخُ والمشتري ... قدماه في شامخ الرفعة
منصرفٌ بالليلِ عن دعوةٍ ... قد أوقدوا قدماه شمعةً
وقال ابن المعتز في وصف سحابة:
كأنَّ سماءها لما تجلّتْ ... خلالَ نجومها عند الصباحِ
رياضُ بنفسجٍ خضلٍ نداءهُ ... تفتح فيه نوارُ الأقاحي
وأخذ أبو بكر الخالدي هذا المعنى فقال وقصر:
أرعى النجوم كأنها في أفقها ... زهرُ الأقاحي في رياضِ بنفسجٍ
وقال الوأواءُ في المعنى:

ربَّ نجومٍ في ظلامٍ أزرقٍ ... راعيتها في مغربٍ ومشرقٍ
كأعينٍ من خجلٍ لم تطرقٍ ... أو نرجسٍ في روضةٍ مفرقٍ
وأخذه العرقلةُ الدمشقي فقال:

كأنَّ السماءَ وقد أشرقتْ ... كواكبها في دجىِ الحنلسِ
رياضُ البنفسجِ محميةٌ ... تفتح فيها جنىِ النرجسِ
وأخذه المملوكُ فقال:

والليلُ والأنجمُ فيه حكى ... بنفسجاً أزهَرَ فيه الأقاحُ
وينسب إلى ابن المعتز من قطعة:

وتوقدُ المريخُ بين نجومه ... كبهارةٍ في روضةٍ من نرجسِ
وقال هاشم بن العباس المصري من قطعة:

وكأنما المريخُ بين نجومه ... ياقوتةٌ في جوهرٍ متبددٍ
وقال ابن حمديس من قطعة:

فكأنما عقدُ الحنادسِ بوكرتْ ... بيدٍ من الصبحِ المنيرِ فحلتِ
وكان أنجمها على أعجازها ... درقٌ على أعجاز دهمٍ ولتِ
وقال ابن وكيع من قصيدة:

وللسماءِ وشحٌ ... من النجومِ وسمطُ
تحكي بساطاً أزرقاً ... فيه من التبرِ نقطُ

وقال في الجوزاءِ وأجاد:

قم فاسقني صافيةً ... تملكُ سترَ الغسقِ
أما ترى الصبحَ بدا ... في ثوبِ ليلٍ خلقِ

أما ترى جوزاءهُ ... كأنها في الأفقِ

منطقةً من ذهبٍ ... فوق قباءِ أزرقِ

وقال أيضاً:

ما زلتُ أشربُ بها وأسقي صاحبي ... والصبحُ في سربالِ تبرٍ مشرقٍ
حتى بدتُ زهرُ النجومِ كأنها ... دررٌ نثرنَ على بساطِ أزرقٍ
وشاركه أبو عثمان الخالدي فقال:

وليلةٌ ليلاءَ في ال ... لونِ كلونِ المفرقِ

كأنما نجومها ... في مغربٍ ومشرقٍ

دراهمٌ منثورةٌ ... فوقَ رداءِ أزرقِ

ولابنٍ وكيعٍ أيضاً في المعنى:

أما ترى أنجمَ الدياجي ... تزهروُ في جوها النقيِّ

تحكي لنا لؤلؤاً نثيراً ... على بساطِ بنفسجيِّ

ولابنِ مكنسة السكندري من قصيدة:

والزهرُ قد حفت به ... مثلُ عيونِ الرمقِ

كأنما أشكالها ... لأمعةً في الأفقِ

مدهنٌ من ذهبٍ ... قد ملئت بالزئبقِ

وقال مؤيد الدين الطغرائي في أنجمِ الرجم، وإن كانت القافية لينة:

وليلٍ ترى الشهبُ منقضةً ... به نحو مسترق سمعه

تراها إذا انتشرت في السماء ... ولم تخلُ من ضوئها بقعه

مزاريقَ تبرٍ ترامتُ بها ... بنو الحيشِ في حومةِ الوقعة

وقال ابن زيدون من قصيدة:

والدجى من نجومه في عقودٍ ... يتالآن من سماكٍ ونسرٍ

تحسبُ الأفقَ تحتها لازورداً ... نثرتُ فوثةً دنانيرُ تبرٍ

ومن جيد الشعر الجهول في تشبيه السماء والنجوم:

سبحان من رفعَ السماءَ بأمره ... من غيرِ أعملةٍ تكونُ عمادا

وكأنما هي خيمةٌ مضروبةٌ ... جعلَ الكواكبُ حولها أوتادا

وقال المملوك:

وليلٍ زارني فيه حيبٌ ... مليحُ الشكلِ ساجي المقلتينِ

وقد بدتِ النجومُ على سماءٍ ... تكاملَ صحوها في كل عينِ

كسقفِ أزرقٍ من لازوردٍ ... بدتُ فيه مسامرٌ من لجينِ

الفصل الثامن

ما قيل في تشبيه قوس قزح والثلج والبرق والغيمة

ومن أحسن ما قيل في قوس قزح قول سيف الدولة بن حمدان، وينسب إلى ابن الرومي، وهو الصحيح:
وساق صبيحٍ للصبحِ دعوته ... فقامَ وفي أجفانه سنة الغمضِ
يطوفُ بكاساتِ العقارِ كأنجمٍ ... فمن بين منقضِّ علينا ومنقضِّ
وقد نشرت أيدي الجنوبِ مطارفا ... على الجودِ كناً والحواشي على الأرضِ
يطرزها قوس الغمامِ بأصفرٍ ... على أحرٍ في أخضرٍ تحت مبيضِّ
كأذيالِ خودٍ أقبلتْ في غلائلٍ ... مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ
وللأواءِ، وأجاد:

سقياً ليومٍ بدا قوسُ الغمامِ به ... والشمسُ طالعةٌ والبرقُ خلاسُ
كأنه قوسُ رامٍ والبروقُ له ... رشقُ السهامِ وعينُ الشمسِ برجاسُ
وقال ابن بليطة الأندلسي من قطعة:
ولاح في الجو قوسُ الجوِّ مكتسباً ... من كل لونٍ بأذنانِ الطواويسِ
وقال السري الموصلِي في قطعةٍ
والجوُّ في ممسكٍ ... طرازه قوسُ قزحِ
يبكي بلا حزنٍ كما ... يضحكُ من غيرِ فرحِ
وقال صاحبُ بن عباد في الثلجِ وأجاد:

أقبلَ الثلجُ فانبسطَ للسرورِ ... ولشربِ الصغيرِ بعدَ الكبيرِ
فكأنَّ السماءَ صاهرتُ الأُر ... ضَ فصارَ النثارُ من كافورِ
ولأحمد بن علي العلوي فيه، واستدعى صديقاً:
هواك من الدنيا نصيبي وإنني ... إليك لمشتاقٌ كجفني إلى الغمضِ
فرزني وبادر يومِ ثلجٍ كأنه ... شمائمُ كافورٍ نثرن على الأرضِ
وقال أبو الفتح البستي، وأجاد:

قد نظمنا السرورَ في عقدِ أنسٍ ... وجعلنا الزمانَ للهو سلكا
وشربنا المدامَ في يومِ ثلجٍ ... عزلَ الغيُّ فيه رشداً ونسكا
فكأنَّ السحابَ تنحلُّ كافو ... رأ علينا ونحنُ نفتقُ مسكا
وقال ظافر الحداد:

ويومٍ ضاحكٍ يبكي ... ضعيفٍ معاقِدِ السلكِ
أشوبُ بيرده برداً ... كمبسمٍ من حوى ملكي
كأنَّ الريحَ تنثره ... على الأرضينِ في وشكِ
تغربل من خلالِ الن ... د كافوراً على مسكِ
وقال كشاجم فيه من قصيدة:

الثلج يسقطُ أم لجينٌ يسبكُ ... أم ذا حصي الكافور ظلٌ يفركُ
ولعتُ به الأرضُ الفضاءُ كأنها ... من كلِّ ناحيةٍ بتغرٍ تضحكُ
شابت ذوائبها فبينَ ضحكها ... طرباً وعهدي بالمشيبِ ينسكُ
ومن قطعة له أيضاً:

فكأنَّ ما ينهلُ من سيلِ الندى ... أيدٍ نثرنَ من الجمانِ عقوداً
وقال أيضاً فيه وفي السحاب:

غيثٌ أتانا مؤذنٌ بحفضٍ ... متصلُ النوِّ حثيثُ الركضِ
كالجيشِ يتلو بعضه البعض ... يضحكُ عن برقٍ خفي الومضِ
كالكفِّ في انبساطها والقبضِ ... دنا فخلناه دوينَ الأرضِ
إلفاً إلى إلفٍ بسرٍّ يفضي ... ثم هوى كاللؤلؤ المنفضِ
وقال ابن التمار في البرق من قطعة:

فاشرب على طيبِ الزمانِ فيومنا ... يومُ التذاذِ قد أتى برداذٍ
وانظرُ إلى لمعِ البروقِ كأنها ... يومَ الضرابِ صفائحُ القولاذِ
وقال ابن المعتز في البروق من قصيدة:

أرقتُ لبرقٍ كثير الوميض ... ترامى غواربه في الشهبِ
كأنَّ تألقه في السماءِ ... سطورٌ كبنِ بماءِ الذهبِ
وقال أيضاً من قصيدة:

إذا تعرى البرقُ فيها خلته ... بطنَ شجاعٍ في كتيبٍ يضطرب
وتارةً تبصره كأنه ... أبلقُ مالَ جلله حينَ وثب
وتارةً تخاله إذا بدا ... سلاسلًا مصقولةً من الذهبِ
ولأبي بكر الخالدي في الرعد والبرق والسحاب، وأجاد:

وسحابٍ يجرُّ في الأرضِ ذيلي ... مطرفٍ زره على الأرضِ زراً
برقه لمحّةٌ ولكن له رع ... دُبطيءٌ يكسو المسامعِ وقرا
كخليٍّ منافقٍ تمواه يَب ... كي جهراً ويضحكُ سراً
وقال ابن قلاقس في مثله، وإن كانت التوطئة ليست جيدة:

كأنما الرعدُ والسحابُ وقد ... جدَّ ذهاباً والبرقُ إذ لاحا
ثلاثةٌ من عدوهم نفروا ... إليهمُ قد غدا وقد راحا
فسل هذا سيفاً له وبكى ... هذا وهذا من خيفةٍ صاحا
وقال أبو عثمان الخالدي:

كأنَّ الرعودَ خلال البرو ... قِ والريحُ تكثُرُ تحريضها
زنوحٌ إذا خفقتَ بينها ... دبادبها جردتُ بيضها

وقال أيضاً في الطل والسحاب والبرق من قطعة:
أما ترى الطلَّ كيفَ يلمعُ في ... عيونِ نورٍ تدعو إلى الطربِ
في كلِّ عينٍ للطلِّ لؤلؤةٌ ... كدمعةٍ في جفونٍ منتحبِ
والجوُّ في حلةٍ ممسكةٍ ... قد طرزتها البروقُ بالذهبِ
وقال السري من قطعة:
والجوُّ يختالُ في حجبٍ ممسكةٍ ... كأنما البرقُ فيها كفُّ ذي رعبِ
وللوزير المهلي:

يومٌ كأنَّ سماءَهُ ... شبهُ الحصانِ الأبرش
وكانَ زهرةً أرضه ... فرشتُ بأحسنِ مفرش

فسماءُه دكنُ الخزو ... زِ وأرضه خضرُ الوشي
وهو من قول ابن الورمي:

يومنا للنديم يومٌ سرورٍ ... والتذاذِ ونعمةٍ وابتهاجِ
ذو سماءٍ كأدكن الخزغيمت ... فوقَ أرضٍ كأخضرِ الديباجِ
وللناشي الصغير:

خليلي هل للمزن مقلَّة عاشقٍ ... أم النارُ في أحشائها وهي لا تدري
أشارتْ إلى أرضِ العراقِ فأصبحتْ ... وكاللؤلؤِ المشورِ أدمعها تجري
تسريلُ وشياً من خزوزٍ تطرزتْ ... مطارفها طرزاً من الوشي كالنبر
وقال يوسف بن هارون الرمادي الأندلسي من قطعة:

والغيث من سحابه ... طلٌّ ضعيفٌ ينزلُ
كأنه برادةٌ ... من فضةٍ تغريلُ

وقال المملوك من مزدوجة في البرق:

والبرقُ مذ أرهفَ من شفاره ... لاحتْ دماءُ المحل في غراره
كأنه والنورُ منه قد طفا ... نشوانُ رش في حديقٍ قرقفا
وتارةً يبدو كبنيدٍ من ذهبٍ ... يخفضُ طوراً ثم طوراً ينصبُ
وتارةً تحسبه إذ يعرضُ ... كأرقش لسانه ينضنضُ
وربما ترى به تداخلاً ... تخالهُ من ذهبٍ سلاسلا
وتارةً يخفقُ غيرَ شارقٍ ... كأنه خفقُ فؤادِ العاشقِ
وتارةً خففاً شديدَ القصرِ ... لحاً ضعيفاً كاختلاجِ البصرِ

الفصل التاسع

تشبيه الجرة

قال ابن المعتز من قطعة، وينسب إلى الخباز البلدي:
وكان الحجر جدول ماء ... نور الأقحوان من جانبه
وأخذ ابن حجاج فقال من قطعة:
يا صاحبي استيقظا من رقدة ... تزرني على عقل اللبيب الأكيس
هذي الجرة والنجوم كنها ... همر تدفق في حديقة نرجس
وأخذ المهذب بن الزبير وزاد عليه شيئا من الصناعة، فقال:
وترى الجرة في النجوم كأنها ... تسقي الرياض بجدول ملآن
لو لم تكن همرًا لما عامت به ... أبداً نجوم الحوت والسرطان
وقال ابن صرد من قصيدة:
وعلى الجرة أنجم نظمت ... مثل الفقار تلوح في الظهر
هذا حباب فوق صفحاتها ... طاف، وهذا جدول يجري
وقال ابن خفاجة:
لبس الحجر على السواد فخلته ... مترهبا قد شد من زنار
وقال المملوك من قطعة وقد تقدمت:
والليل فرغ بالكواكب شائب ... فيه مجرته كمثل المفرق

الفصل العاشر

تشبيه الصبح

قال أبو بكر الخالدي من قصيدة ووصف ديكاً:
مطرب الصبح هيج الطربا ... لما قضى الليل نجه انتحبا
مفرد تابع الصباح فما ... يدري رضى كان ذاك أم غضبا
ما تنكر الطير أنه ملك ... لها فبالنجاح راح معتصبا
طوى الظلام البنود منصرفاً ... لما رأى الصبح ينشر العذبا
والليل من فتحة الصباح به ... كراهب شق جيبه طربا
وشاركه السري الموصل فقل من قطعة:
كراهب جن للهوى طرباً ... فشق جلابه من الطرب
وقال أبو بكر أيضاً من قصيدة:
ما عذرتنا في حبسنا الأكوبا ... سقط الندى فصفا الهواء وطابا

وكأنا الصبحُ المنيرُ وقد بدا ... بازِ أطارَ من الظلامِ غرابا
وقال ظافر الحداد:

وصبيحةٍ باكرتها في فنية ... أضحوا لكلِ نفيسةٍ كالأنفسِ
والليلُ قد ولى بعيسةٍ راحل ... والصبحُ قد وافى ببشرِ معرس
والفجرُ قد أخفى النجوم كأنه ... سيلٌ يفيضُ على حديقةِ نرجسِ
وقال محمد بن عطية بن حيان القيرواني الكاتب:

فكأنا الصبحُ المطلُّ على الدجى ... ونجومه المتأخراتُ تقوضا
نمراً تعرضَ في السماءِ وحولهُ ... أشجارُ وردٍ قد تفتحُ أبيضاً
وقال ابن وكيع من قصيدة:

حتى إذا الليلُ بدا ... فيه من الصبحِ وخطُ
وخلتَ ذا في جسمِ ذا ... حينِ تعرى وانكشطُ
غلالةً فضيةً ... عن جسمِ زنجي تعطُ

وأخذه أبو الفتوح ابن قلاقس فقال من قصيدة:

حتى تبدى الصبح من جنباته ... فكأنه الزنجيُّ شقَّ قباؤهُ
وقال ابن المعتز، وهو أحسن ما قيل في الفجر المعترض:
والليلُ قد رقَّ وأصغى نجمه ... واستوفر الصبحُ ولما ينتصبُ
معتراضاً بفجره في ليلةٍ ... كفرسٍ بيضاءَ دهماءِ اللبِّ

وله أيضاً من قطعة:

والصبحُ يتلو المشتري فكأنه ... عريانٌ يمشي في الدجى بسراج
وقال القاضي السوخى فيه من قطعة:

كأنَّ عيونَ الساهراتِ لطولها ... إذا شخصتْ في الأنجمِ الزهر أنجمُ
كأنَّ سوادَ الليلِ والفجرُ ضاحكٌ ... يلوحُ ويخفى أسودٌ يتبسمُ
وأخذه ابن وكيع فقال:

والفجرُ قد خالطَ بالنورِ الغسقُ ... فجاءَ في هيئةِ طرفِ ذي بلقُ
تبسمَ الزنجي عن ثغر يقق

الباب الثاني

التشبيه الواقع في صفات المياه والأنهار والغدران

وفيه خمسة فصول الفصل الأول: فيما قيل في الأهمار عند تجعيدها بمر الريح عليها.
الفصل الثاني: في تشبيه الأهمار الهادئة والغدران الساكنة.
الفصل الثالث: في ذكر التشبيه الواقع في تغير ماء الأهمار بالمدود.
الفصل الرابع: فيما يتعلق بوصف الأهمار وذكر ما قيل من التشبيه في المراكب.
الفصل الخامس: في تشبيه القوارات وما شابهها.

الفصل الأول:

فيما قيل في الأهمار عند تجعيدها بمر الريح عليها

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الأمير تميم بن المعز:
يومٌ لنا بالنيل مختصرٌ ... ولكلِّ وقتٍ مسرةٌ قصرُ
والسفنُ تصعدُ كالخيول بنا ... فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
وكأما أمواجه عكنٌ ... وكأما داراته سررُ
وقال ابن وكيع في تشبيهه بالعكن:

خذها بكفنٍ فاترِ الجفونِ ... على خليجٍ أملسٍ المتونِ
أمواجه كعكنِ البطونِ ... ذي زردٍ كالزردِ الموضونِ
كسلخِ أيمٍ أو كسلخِ نونِ
وله أيضاً:

سقاني كأسَ الراحِ شاطئُ جدولٍ ... تداريجه يحكينَ بطناً معكنا
إذا صافحته راحةُ الريحِ خلتها ... بتكسيرها إياه ثوباً مغبنا
وإنما أخذ الأمير تميم أبياته من قول الصنوبري:
طربتُ إلى شطِّ الفراتِ عشيةً ... بكلِّ فتى كالسيفِ أروعَ صنديدِ
وقد عبثتُ فيه الصبا فنخاله ... طريقُ لجينِ ذا ربي وأخاديدِ
تروكُ داراتٌ عليه كأنها ... خواتمُ حسنٍ في حدودٍ مهاً غيدِ
وقال الرصافي الأندلسي:

وجداول كاللجينِ سائلٌ ... صافي الحشى أزرقِ الغلائلِ
عليه شكّلُ صنوبريٌّ ... تفتلُ من مائه خلاخلُ
ووجدت منسوباً إلى الوأواء:

شربنا على النيل لما بدا ... بملءِ يزيدٍ ولا يقصُ
فخلنا تحركَ أمواجه ... كأعطافِ جاريةٍ ترقصُ
وأخذه الحسن بن رشيق فقال من قصيدة:

خليلي هل أعطيتما اللحظَ حقهُ ... من البركةِ الحسنةِ شكلاً ومنظراً
إذا باشرتُ أولى النسيمِ حسبتها ... من الريحِ المفروكِ ثوباً منشراً
كأنَّ شباكاً ألقيتُ في متونها ... فأبقتُ مثلاً فوقها قد تسطرا
ويتركها مرُّ القبولِ كما انشت ... معاطفُ ثوبي راقصٍ قد تكسرا
وقال أيضاً وزاد وأجاد:

لدينا بركةٌ كالبرِّ حسناً ... وليس يصيبها كالبرِّ نقصُ
كأنَّ الريحَ تأتيها برياً ... حبيبٍ قد تباعد منه شخصُ
فيطربها إلى أن يعتربها ... من الإطرابِ تصفيقٌ ورقصُ
وهذا المعنى مأخوذ من أبياتٍ وجدتها منسوبةً إلى ابن المعتز، ولستُ أظنها له:

كأنما النيلُ إذا ... نسيمُ ريحٍ حركةً

بنيّةً ترقصُ في ... غلالةٍ ممسكةً

تريك من تخليعها ... في كلِّ عضوٍ حركةً

وأخذ ابن رشيقي البيت الثالث من قول ابن وكيع:

قم فاسقني قهوةً إذا انبعثتُ ... في باخلِ جادٍ بالذي ملكةً

لو خامرتُ صخرةً بسورتها ... لأحدثتُ في سكوتها حركةً

على غديرٍ إذا الصبا درجتُ ... في منتهِ أظهرتُ لنا حبكةً

كأنَّ أيدي الرياحِ قد بسطتُ ... لنا على وجهِ مائه شبكةً

والأصل قول الصنوبري:

سقى حلباً سافكٌ دمه ... بطيءُ الرقو إذا ما سفكُ

ميادينها بسطهن الرياض ... وأثمارها وسطهن البركُ

تري الرياحُ تنسجُ من مائها ... دروعاً مضعفةً أو شبكُ

كأنَّ الزجاجَ عليها أذيبَ ... وماءَ اللجينِ بما قد سبكُ

وقال ظافرُ الحداد من قصيدة:

وطوراً على ماءِ الخليجِ وقد جلا ... عليه نسيمُ الريحِ كشحاً معكنا

كأنَّ حبابَ الماءِ ثوبٌ مرايشُ ... وقد شابه لونُ الضحى فتلونا

وكان كأحنكِ الطباءِ تتأبَّتْ ... فأظهرنَ تلديجاً هناك مغضنا

إذا برم التيارُ داراته حكي ... أناملَ خراطِ تجرد مدھنا

ولحمد بن الحسن فيها، وذكر غيره بالمد:

والنهرُ مكسوٌ غلالةً فضةً ... وإذا جرى سيلٌ فتوبُ نضارِ

وإذا استقام رأيتَ صفحةً منصلٍ ... وإذا استدار رأيتَ عطفَ سوارِ

وقال الأمير أبو فراس:

أنظرُ إلى زهرِ الربيع ... والماءِ في بركِ البديعِ
وإذا الرياحُ جرتُ علي ... هـ في الذهابِ وفي الرجوعِ
نثرتُ علي بيض الصفا ... نح بيننا حلق الدروعِ

وقال أبو الصلت من قطعة:

للّه يومي بركة الحبش ... والجو بين الضياء والغيش
والنيل بين الرياح مضطرب ... كصارم في يمين مرتعش
وقال ابن حمديس يصفُ نمرًا من قطعة:

له رعدةٌ تعادُهُ في انحداره ... كما تبسط الكفُ البنان وتقبضُ
وتحسبه إن حبكتُ منته الصبا ... عموداً علاهُ النقشُ وهو مفضضُ
وقال ظافر الحدادُ من قصيدةٍ يصفُ نمرًا:

ترى منه تحتَ الماءِ درعاً وجوشناً ... وسيفاً بلا غمدٍ إذا كانَ راكدا
كأن الصبا لما أدارت حبابه ... تمرُّ على سيفٍ صقيلٍ مباردا
وقال ابن رشيق من قصيدة:

والماءُ ساجٍ مستكينٌ هيبَةٌ ... لمعزّ دين الله ذي الآلاءِ
ذوبٌ من البلور عاد لوقته ... في هيئة الياقوتة الزرقاءِ
يحكي المباردَ بالمتونِ وتارةً ... كبطونِ حياتٍ على رمضاءِ
وقال ابن المعتز من قصيدة:

وكان درعاً مفرغاً من فضةٍ ... ماء الغديرِ جرتُ عليه صباك
وقال ابن التمار الواسطي:

أما ترى اليومَ في أنوابه الجددِ ... يحكيك يا غرة الأيام والأبدِ
فاشربْ وسقّ الندامى من مشعشة ... كلونِ خدك لم تنقصْ ولم تزدِ
على خليجٍ إذا هبَّ النسيمُ به ... أبصرته من حبيك الريح كالزردِ
ومن أحسن ما قيل ومن أطرفه قول المعرى من قصيدة:

وكم تصيدتُ والصبا شركي ... سربَ ظباءِ الحاظهنَّ ظبا
على غديرٍ بروضةٍ نظمتُ ... نوارها حولَ بدره شها
يدق فيه الغمام أسهمه ... فيكتسي من نصالها حبا
ويعجمُ الطلُّ ما تحنُّ على ... صفحتيه مر شمالٍ وصبا
ضروبٌ وشي كأنما خلع الأي ... م عليهنَّ بردهً طربا
وقال الرصافي الأندلسي في نمر عليه شجرة:

ومهلل الشطين تحسبُ أنه ... متسيلٌ من درةٍ لصفائه

فَاءَتْ عَلَيْهِ مَعَ الْهَجِيرَةِ سَرْحَةٌ ... صَدَّتْ لَفَيْتِهَا صَفِيحَةٌ مَائِهِ
فَتَرَاهُ أَزْرَقَ فِي غَلَاتِلِ سَمْرَةٍ ... كَالدَارِعِ اسْتَلْقَى لَظْلَ لَوَائِهِ
وَقَالَ ابْنُ قَلَاقِسٍ مِنْ قِطْعَةٍ:

وَمَجْلِسٍ أَشَقَّ تَعَارِيْجُهُ ... نَهْرٌ كَمَا شَقَّ الطُّرُوبُ الرِّدَا
كَأَنَّهُ وَالْمَاءُ فِي مَتْنِهِ ... صَرَحَ سَلِيمَانُ الَّذِي مَرَدَا
يَلْمَعُ كَالسَّيْفِ فَإِنْ دَرَجَتْ ... مِنْهُ الصَّبَا أَبْصَرْتَهُ مَبْرَدًا
وَقَالَ أَيْضًا فِي بَرَكَةٍ:

قَدْ صَفَتْ وَاعْتَلَى الْحِيَابُ عَلَيْهَا ... فَهِيَ سَيَانٌ مَعَ كُورِسِ الرِّيحِ
يَا هَا أَنْصَلًا بِوَاطِنٍ لَوْلَا ... زَرْدٌ ظَاهِرٌ بِأَيْدِي الرِّيحِ
أَيُّ دَرَعٍ مَوْضُونَةٍ النَّسَجِ تَمْتَدُّ ... ذُو السَّوَاقِي مِنْهَا بَيِضُ الصَّفَاحِ
وَالْمَوْلَى تَاجُ الْمُلُوكِ، نُورُ اللَّهِ ضَرِيحِهِ:
أَنْظَرُ إِلَى النَّيْلِ الَّذِي ... ظَهَرَتْ بِهِ آيَاتُ رَبِّي
فَكَأَنَّهُ فِي جَرِيهِ ... دَمْعِي وَفِي الْخَفْقَانِ قَلْبِي

الفصل الثاني

في تشبيه الأنهار الهادئة والغدران الساكنة

مَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الْأَمِيرِ أَبِي فِرَاسٍ:
وَكَأَنَّمَا الْبِرْكُ الْمَلَأُ يُخْفِئُهَا ... أَنْوَاعُ ذَاكَ النَّبْتِ وَالزَّهْرِ
بَسِطٌ مِنَ الدِّيْبَاجِ بِيضٌ فَرُوزَتْ ... أَطْرَافُهَا بِفِرَاوِزِ خَضِرِ
وَقَالَ الْأَمِيرُ تَمِيمٌ فِي بَرَكَةِ الْحَبَشِ وَخَلِيجِ بَنِي وَائِلٍ:
كَأَنَّ الْبَرَكََةَ الْغِنَاءَ مَا ... غَدَتْ بِالْمَاءِ مَفْعَمَةٌ تَمُوجُ
وَقَدْ لَاحَ الضَّحَى مِرَاةَ قَيْنٍ ... قَدْ انْصَقَلَتْ وَمَقْبُضُهَا الْخَلِيجُ
وَشَارَكَهُ ابْنُ وَكَيْعٍ فَقَالَ:

وَقَدْ حَكَى غَدِيرَهُ ... فِي زَهْرِهِ حِينَ اغْتَمَطُ
مِرَاةَ جَالٍ مَاهِرٍ ... مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ نَمَطُ
وَقَالَ ابْنُ خَفَّاجَةَ:

لِلَّهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءٍ ... أَشْهَى وَرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ
وَعَدَتْ تَحْفُ بِهَ الْغُصُونُ كَأَنَّهَا ... هَدَبٌ تَحْفُ بِمَقْلَةٍ سَوْدَاءِ
وَقَالَ أَبُو مَطْرَفِ بْنِ الدَّبَاغِ فِي مِثْلِهِ:

ومطرِدٍ صيغَ من لؤلؤٍ ... وقد أعشَبَ النبتُ في جانبيه
كأن يَنابيعُهُ محجَرٌ ... وقضبُ الرياحينِ هذبٌ عليه
وقال ظافرُ الحدادِ في بحرِ النيلِ وبركةِ الحبشِ وشبيههما من أوضاعِ أهلِ مصرِ:
تأملتُ بحرَ النيلِ طولاً وخلفه ... من البركةِ الغناءِ شكلاً مقعراً
فكانَ وقد لاحتْ بشطيه خضرةٌ ... وكانتُ وفيها الماءُ باقٍ موقراً
عمامةً شربِ ذي حواشٍ بخضرةٍ ... أضيفَ إليها طيلسانٌ مقوراً
وقال أيضاً وأجاد:

لله يومٌ أناله النيلُ ... لحسنه جملةٌ وتفصيلُ
في منظرٍ مشرفٍ على خضرةٍ ... كأنه في السماءِ قنديلُ
كأنما البحرُ عند مفترقِ ال ... ماءِ ابنِ من رأسها سراويلُ
وقال في معناه:

نظرُ إلى الروضةِ الغناءِ والنيلِ ... وسمعُ بدائعِ تشبيهِ وتمثيلي
وانظرُ إلى البحرِ مجموعاً ومفترقاً ... هناكُ أشبهَ شيءٍ بالسراويلِ
وقال أيضاً في المعنى:

والنيلُ مثلُ عمامةٍ ... نشرتْ محشاةً بأخضرِ
والجسرُ فيها كالطرازِ ... ومن به رقمٌ مصورُ
والبحرُ من رأسِ الجزي ... رقةٌ كالسراويلِ المجدرِ
وقال ابنُ حمديسٍ في بركةٍ شققها نهرُ:
وزرقاءَ في ليلِ الشبابِ تنهتُ ... لتحييَ كها ريحٌ تمبُّ مع الفجرِ
يشقُّ حشاها جدولٌ متكفلٌ ... بسقيِ رياضِ النبتِ في حلالِ الزهرِ
كما ضربَ المقدامُ بالسيفِ دارعاً ... بدرعٍ فشقَّ الصدرَ منه إلى الخصرِ

الفصل الثالث

في ذكرِ التشبيهِ الواقعِ في تغيرِ ماءِ النهارِ بالمدودِ

وقال أبو بكرِ الصنوبري فيه:
ولقد ظممتُ إلى الفرا ... تِ بكلِّ ذي كرمٍ ومجدِ
والشمسُ عند غروبها ... صفراءُ مذهبةُ الفرندِ
والماءُ حاشيتاهُ خضرا ... وإن من آسٍ ورندي
تجبه أيدي الرياحِ إن ... ولتِ على قَرَبٍ وبعدي
بطرائقٍ من فضةٍ ... وطرائقٍ من لازوردِ

والسفنُ كالطيرِ انبرتُ ... في الجو من مثني وفردِ
حتى إذا جزرُ الفرا ... ت مضى وأعقبه بمدُّ
ألفيته وكأنه ... ملقى عليه رداءُ وردِ
متملماً كالصبِّ أو ... ذن من أحبته بصدِّ
وكأما بحشاهُ ما ... بحشاي من قلقٍ ووجدِ
وقال الأمير تميم:

أما ترى الرعدَ بكى واشتكى ... والبرقَ قد أومض واستضحكا
وانظر إلى غيم كصبغ الدجى ... أضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده ... كأما صندل أو مسكا
وقال عبد الله بن شربة وأجاد:
راقني النيلُ صفاءً ... بعد تكدير صفائه
كان مثل الوردِ غصاً ... فهو الآن كماءه
وأخذه أبو الصلت وزاد عليه، فقال في نيل مصر:
ولله مجرى النيل فيها إذا الصبا ... أرتناه من مرها عسكرياً مجرى
إذا مد حاكي الوردِ غصاً وإن صفا ... حكي مائه لونا ولم يعده نشرا

الفصل الرابع

فيما يتعلق بوصف الأنهار وذكر ما قيل من التشبيه في المراكب

ومن جيد ما قيل في ذلك قول بعضهم:
تجولُ على لجّ تيارها ... من الخيل دهم بلا أبلق
زبازبُ تحكي إذا ميزتُ ... عقارب تسعى على زئبقِ
وأحسن منه قول من قال:
كأما في غامر الأمواج ... عقارب دبت على زجاج
وأخذت من هذا المعنى وزدتُ عليه فقتل في صفة نيل مصر:
فكم حاكة تجري عليه ورومس ... وكم من عشاري عليه وقارب
كفرخ زجاج أزرق متجعّد ... جرت فوقه للخوف سودُ عقاربِ
وقال ابن حمديس يصف سفينةً:
طيارةٌ ولها فرخانٍ وا عَجبا ... إذا لا ترقهما حتى يرقاها
كأثما البحرُ عينٌ وهي أسودها ... بسببها فيه والعبان جفناها
وهو مأخوذ من قول السلامي:

وميدانٍ تجولُ به خيولٌ ... تقوُدُ الدارعينَ ولا تقاُدُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طرفاً ... له جسمٌ وليسَ له فؤادُ
جرى فظننتُ أنَّ الأرضَ وجهُةً ... ودجلةٌ ناظرٌ وهو السوادُ

الفصل الخامس

في تشبيه الفوارات وما شابهها

ومن جيد ما قيل في الفوارات قول السري من قصيدة:
رفعتُ إلى الجوزاءِ فواراتها ... عمداً تصابُ بوثبها الجوزاءُ
كادتُ تردُّ على الحيا أطفاهُ ... لو لم يملْ أطرافهنَّ حياءُ
مثلُ القنا الخطيِّ قومِ ميلةً ... وجرتُ عليه الفضةُ البيضاءُ
وقال من أخرى في المعنى:
وسهم فوارَةٍ ما ارتدَّتْ رائده ... حتى أصابَ من العيوقِ ما طلبا
كأنَّ بركتهُ درعٌ مضاعفةٌ ... تقلُّ رمحٌ لجينٍ منه منتصبا
وقال ابن قلاقس وأحسن:
منارةٌ للرخامِ قائمةٌ ... عنها شرارُ المياهِ منفضةُ
كأنها فائزةٌ مكلفةٌ ... عمودها من سباتكِ الفضةُ
ومن جيد الشعر الجهول فيها:
وفوارَةٍ ردتْ على السحبِ ماءها ... وزادَ على الإخبارِ عنها عيائها
إذا ما تراءتْ العيونُ حسبتها ... قناةً من البلورِ فيها سنائها
وقال الأعمى التطيلي في أسد نحاس يغلق الماء من قطعة:
فكأنه أسدُ السما ... يميحُ من فيه الحجرُ
وقال يعلى بن إبراهيم الإدريسي في صور نحاسٍ تقذفُ الماء من أفواهها:
وتنبذُ الماءَ من أفواهها صورٌ ... منها وتحسبها والماءُ مرتدفاً
تناعبتُ في أوانِ القرِّ واحتفلتُ ... أنفاسها والهوى في جسمها كنفُ

الباب الثالث

تشبيه الأزهار والأثمار والنبات

وفي ثلاثة فصول

الفصل الأول

في تشبيه الأزهار

من أحسن ما قيل في النرجس قولُ ابن وكيع:

اشربُ فلستَ على صحوِّ بمعذورٍ ... واطربُ على صوتِ ناياتٍ وطنبورِ
أما ترى النرجسَ الريانَ يلحظنا ... كأنَّ أجفانه أجفانُ مخمورِ
كأنَّ أصفره في وسطِ أبيضه ... قراضةٌ أودعتُ أحشاءَ بلورِ
أما تراهُ ومرُّ الريحِ يعطفه ... كأنه زعفرانٌ وسطَ كافورِ
إذا بدا في اختلافٍ من تلونه ... أراكِ كيف امتزاجُ النارِ بالنورِ
وينسبُ إلى المأموني من قطعةٍ، وإن لم يكن فيها حرف تشبيه:
وياقوتة صفراءَ في رأسِ درةٍ ... مركبةٌ في قائمٍ من زبرجدِ
كأنَّ جمانَ الطلِّ في جنباتها ... بقيةٌ دمعٍ فوقَ خدِّ موردِ
ولابن المعتز:

وعجنا إلى الروضِ الذي طله الندى ... وللفجرِ في ثوبِ الظلامِ حريقُ
كأنَّ عيونَ النرجسِ الغضِّ بينه ... مداهنُ درٍّ حشوهنَّ عقيقُ
كأنَّ جمانَ الطلِّ في جنباتها ... بكاءُ جفونٍ دمعهن خلوقةُ
وقال أبو الفرج البيهقي وأحسن:

ونرجسٍ لم يعدُ مبيضه ال ... كلسَ ولا أصفره الراحا
تخالُ أقحافَ لجينِ حوتٍ ... من أصفرِ العسجدِ أقداحا
وينسبُ إلى العكربل:

كأنما النرجسُ لما بدا ... لناظري في ساحةِ المازمينِ
زبرجدٌ قد جعلوا فوقه ... أقداح تبرٍ في صواني لجينِ
وقال ظافر الحداد:

كأنما النرجسُ الطافي حينَ بدا ... قعابُ تبرٍ على حافاتِ بلورِ
كأنما أوراقه والشمسُ تقصرها ... أوراقُ شمعٍ فمن خامٍ ومقصورِ
وقال أبو العلاء السروي فيه، وأجاد:

حيّ الربيعِ فقد حيا بباكورٍ ... من نرجسٍ ببهاءِ الحسنِ مذكورِ
كأنما جفنه بالغنجِ منفحتاً ... كأسٌ من التبرِ في مندبيلِ كافورِ
ولأبي عبد الله الحداد الأندلسي وأجاد:

أنظرُ إلى النرجسِ الوضاحِ حينَ بدا ... كأنه ناظرٌ من جفنٍ مبهوتِ
كأذرعِ العيدِ في خضرِ البرودِ جلت ... على أناملها صفرَ اليواقيتِ

ولابن مكنسة الإسكندري من قصيدة:

ونرجسٍ إلى حدائٍ ... قِ الربا محديقِ

كأتما صفرتُهُ ... على بياضِ يققِ

أعشارُ جزءِ ذهبتُ ... من رِقِ في ورقِ

ولعبد القاهر بن طاهر التميمي:

سقتني لتروي الروحَ راحاً وحققتُ ... مواعيدها ذاتُ الوشاحِ يانجازِ

على نرجسٍ حيثُ به وكأتما ... أناملها انضمت إلى حدقِ البازي

وللعرقلة:

ناولني من أحبُّ نرجسةً ... أحسن في ناظري من الوردِ

كأتما بيضها مرصعةً ... من خله والصفارُ من خدي

وكتب ابن الرومي إلى عبد الله بن المسيب من قطعة:

أدرك ثقاتك إهم وقعوا ... في نرجسٍ معه ابنة العنبِ

وهم بحالٍ لو بصرتَ بها ... سبحت من عجبٍ ومن عجبِ

ريجانهم ذهبٌ على دررٍ ... وشرابهم دررٌ على ذهبِ

وينسب إليه أيضاً:

أبصرتُ طاقةً نرجسٍ ... من كفٍّ من أهواهُ غضةً

فكأنها قضبُ الزبرُ ... جد أنبتتُ ذهباً وفضةً

وينسب إلى ابن المعتز:

نرجسةٌ لاحظني طرفها ... تلوحُ في بحرٍ دجىً مظلمِ

كأتما صفرتها في الدجى صفرةً دينارٍ على درهمِ

وقال المملوك من مزدوجة:

ونرجسٍ ينظرُ من أجفانٍ ... مختلفاتِ الشكلِ والألوانِ

من أبيضٍ من تحتِ لونٍ أصفرٍ ... له نسيمٌ كنسيمِ العنبرِ

ينظرُ إذ جلَّ عن العوتِ ... دراً خليطاً أصفرِ الياقوتِ

ومن جيد الشعر قول ابن قادوس يهجوهُ:

ونرجسٍ أهديته فلم يكنُ ... مستملحاً وإنما تهدى الملحُ

يزور عنه ناظرٌ وناشقٌ ... كأنه ثغرٌ تغشاه قلعُ

ومن أحسن ما قيل في الورد قول محمد بن عبد الله بن طاهر:

أما ترى شجراتِ الوردِ مظهرةً ... لنا بدائعٍ قد ركبَن في قضبِ

كأنهنَّ يواقيتُ يطيفُ بها ... زمردٌ وسطه شذرٌ من الذهبِ

وقال إسماعيل الأصبهاني وأحسن:

الوردُ في حلالٍ وحليٍّ ما يرى ... في مثلها إلا الكعابُ الوردُ
والوردُ فيه كأنما أوراقه ... نزعتُ وردً مكالهنَّ خدودُ

وقال السري أيضاً في تشبيهه بالخدود:

لو رحبتُ كأسٌ بذِي زورةٍ ... لرحبتُ بالوردِ إذ زارها
جاءَ فخلنأه خدوداً بدتُ ... مضرمةً من خجلِ نارها

وقال الطغرائي في الوردِ الأصفر وأحسن:

ألم تر أن جند الوردِ وافي ... بخضرٍ من مطارده وصريرِ
أتى مستلماً بالشوكِ يحكي ... نصال زبرجدٍ وتراس تبر

وقال فيه قبل انفتاحه وبعده:

شجراتُ وردٍ أصفرٍ بعثتُ ... في قلبِ كلِّ متيمٍ طرباً
خطرت بنود زبرجدٍ حملتُ ... أجوافها من عسجدٍ أهباً

فإذا الصبا فتقتُ كمائمها ... سحراً ومالَ الغصنُ وانتصبا
شبهتها بخريذةٍ وضعتُ ... في الخضرِ من أتواها لها

سبكتُ يدُ الغيمِ اللجين لها ... وكسته صبغاً مونقاً عجباً
يا من رأى من قبلها شجراً ... سقى اللجين وأثمر الذهباً

وقال الخالدي في الأحمر:

وردةٌ بستانٍ بحايبةٍ ... زينتُ من الحسنِ بنوعينِ
باطنها من قشرِ ياقوتةٍ ... وظهرها من ذهبِ عينِ

قبلتها حباً لها إذ بها ... حيايى البدرُ على عيني
كأنها خدٌّ على خده ... يومَ اجتماعنا غدوةَ الين

ولسعد بن حميد:

أتاك الوردُ مبيضاً مصوناً ... كعمشوقٍ تكنفه صدودُ
كأنَّ عيونهُ لما توافت ... نجومٌ في مطالعها سعودُ

بياضٌ في جوانبه احمرارٌ ... كما احمرتُ من الخجلِ الخدودُ
ومما ينسب إلى ابن المعتز:

أهدتُ إليَّ يدُ نفسي الفداء لها ... الوردَ نوعين مجموعين في طبق
كأنَّ أبيضه وسط أحمره ... كواكبٌ أشرقتُ في حمرة الشفق

وينسب إليه أيضاً:

وورديةٌ في بنانٍ معطارٍ ... حيايى بها في خفي أسرارِ
كأنها وجنةٌ الحبيبِ وقد ... نقطها عاشقٌ بدينارِ

وأشددني القاضي النفيسُ أبو العباس أحمدُ بن عبد الغني الفطرسِيُّ، وأجاد:
وشادنٍ غربي مخادعةً ... منه وكلُّ الملاح غرارُ
ناولني وردةً منعمةً ... كأنَّ بها عن رضاهُ إشعارُ
وقال خذ وجنتي مضاعفةً ... وفوقها للقبولِ دينارُ
وقال صاعد اللغوي الأندلسي في وردةٍ مطبوقةٍ:
أنتك أبا عامرٍ وردةً ... يذكرك المسكُ أنفاسها
كعدراء أبصرها مبصرٌ ... فغطتُ بأكمامها راسها
وقال ابن بابك من قصيدة:

وردٌ تفتح ثم انضمَّ منطبقاً ... كما تجمعتن الأفواه للقبل
ولأبي حفص المطوعي فيه وفي النرجس:
ألست ترى أطباقَ وردٍ وحولها ... من النرجس الغض الطريِّ قدودُ
فتلكَ حدودُ ما عليهن أعينٌ ... وهذي عيونٌ مال هنَّ حدودُ
وقال المملوك من مزدوجة:

والوردُ والطلُّ عليه في الورقِ ... كخذٍ خجلانٍ بدا فيه عرقُ
ومن أعجب الشعر قول ابن الرومي:
يا مادحَ الوردِ ما يفكُّ في غلظه ... ألستَ تنظره في كف ملتقطه
كأنه سرمٌ بغلٍ حين يبرزه ... عند الخراءِ وباقي الروثِ في وسطه
ومن أحسن ما قيل في الجلنار قول الأمير أبي فراس:
وجلنارٍ مشرفٍ ... على أعالي شجره
كأنَّ في رءوسه ... أحمره وأصفره
قراضةً من ذهبٍ ... في حرقٍ معصفره
وله أيضاً:

ويوم جلا عنه الربيعُ رياضهُ ... بأنواع حليِّ فوق أثوابه الخضرِ
كأنَّ ذبولَ الجلنارِ مطلةً ... فضولُ ذبولِ الغانياتِ من الأزْرِ
وقال ابن وكيع فيه:

وجلنارٍ بهيٍّ ... ضرامه يتوقدُ
بدا لنا في غصونٍ ... خضرٍ من الريِّ ميدُ
يحكي فصوصاً عقيقٍ ... في قبةٍ من زبرجدُ
وقال القاضي ابن سناء الملك:
وجلنارٍ على غصونٍ ... وكلُّ غصنٍ بهنَّ مائسُ

يحكي الشراريبَ وهي خضرٌ ... وهو بأطرافها كبائس
ومن أحسن ما قيل في البنفسج قولُ ابن المعتز:
يحكي البنفسجُ في أوقاتِ زرقته ... أوائلَ النارِ في أطرافِ كبريتِ
ولبعضهم في هذا المعنى والزيادة عليه:
بنفسجٌ بذكيِّ الريحِ مخصوص ... ما في زمانك إذ وافاك تنغيصُ
كأنه شعلُ الكبريتِ مضرمَةٌ ... أو خدُّ أعيدَ بالتجميشِ مقروصُ
وقال ابنُ المعتز من قصيدة:

وكان البنفسجُ الغضُّ يحكي ... أثرَ القرصِ في حدودِ الجواري
وقال أبو الحسن العقيلي في الزيادة عليه:

اشربْ على زهرِ البنفسجِ قهوةً ... تنفي الأسي عن كلِّ صبٍّ مكمدِ
فكأنه قرصٌ بحدِّ غريرةٍ ... أو أعينٌ زرقٌ كحلنَ ياثمدِ
وينسب إلى ابن المعتز من قطعة:

تراهُ فتحسبُ ألوانهُ ... فصوصاً من الفضةِ المحرقة
وللصنوبري:

وكانَ حرمها البديعُ إذا بدا ... منها رعوسٌ قد بدرنَ رقابها
ولبعضهم في هذا المعنى:

ماسَ البنفسجُ في أغصانهِ فحكى ... زرقَ الفصوصِ على خضرِ القراطيسِ
كأنه وهوبُ الريحِ تعطفه ... بينَ الحدائقِ أعرافُ الطواويسِ
وينسب إلى ابن الرومي فيه:

بنفسجاً هاتِ فإني متي ... شاهدته أشربُ ماشيتنا
ليس من الزهرِ ولكنه ... زبرجدٌ يحملُ ياقوتا
وقال منصور الهروي فيه وفي النرجس:

قرنَ الزمانُ إلى البنفسجِ نرجساً ... مترجاً في حلةِ الإعجابِ
كخودِ عشاقِ غدت ملطومةً ... نظرتُ إليها أعينُ الأحبابِ
ومن أحسن ما قيل في السوسن قول ابن المعتز في مزدوجته، في الأبيض منه:
والسوسنُ الأبيضُ منشورُ الحللِ ... كقطنٍ قد مسه بعضُ البللِ
وقال الأحيطل الأهوازي وقصر:

سقياً لروضِ إذا ما نمتُ نبهني ... بعد الهدوءِ به قرعُ النواقيسِ
كأنَّ سوسنه في كلِّ شارقةٍ ... على الميادينِ أذئابُ الطواويسِ
ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز:

سقياً لأيامٍ مضتُ ... وللعصورِ الخالية

ما بين روضاتٍ لنا ... بكلِّ حسنٍ حاليةً

كأنما أنهارها ... من ماءٍ وردٍ جاريةً

كأنَّ آذريونها ... تحتَ السماءِ الصافيةِ

مداهنٌ من ذهبٍ ... فيها بقايا الغاليةِ

ولأبي الحسنِ العقيلي فيهِ:

تاه الربيعُ بأذريونه وزها ... لما بدا منه نشرٌ في الربا أرحُ

كأنَّ أغصانه فيروزٌ بهجٌ ... من فوقه ذهبٌ في وسطه سيجُ

وقال ابن وكيع فيهِ:

قم فاسقني صافيةً ... تسلبُ قلبي فكرةً

في روضةٍ كأنها ... خريدةٌ في حبرة

كأنَّ آذريونها ... أصفره وأحمره

سحيقٌ مسكٍ مودعٌ ... في خرقٍ معصفرةً

ومن جيد ما قيل في المنشور السندي قولُ ابن المعتز:

ومنتورةٌ نثرتُ في القلوب ... سروراً على بهجةٍ مشرقةً

تراها فتحسبها في العيان ... صليباً من الفضةِ الخرقه

وقال ظافر الحداد في الأصفر منه من قطعةٍ وأحسن:

والأصفرُ الخيريُّ صليبانٌ زهتُ ... بصحيحٍ قسمتها على الصناعِ

كقراضةِ الدينارِ قسم خمسةً ... وأعيدَ مصفوفاً على أرباعِ

وقال الملك عضد الدولة بن بويه الديلمي:

يا طيبَ رائحةٍ من نفحةِ الخيريِّ ... إذا تمرقَ جلابُ الدياجيرِ

كأنها في أوانِ القرِّ أجنحةٌ ... بيضٌ وحمراً وصفراً من زنانيرِ

وتنسب إلى البحترى:

لما رأيتُ المنتورَ منتظماً ... ظللتُ فيما رأيتُ مبهوتا

كأنما أشربُ المدام على أر ... ضٍ بما تنبتُ اليواقيتا

وللعرقلة:

قد أقبلَ المنتورُ يا سيدي ... كالدرِّ والياقوتِ في نظمه

ثناكُ لا زالَ كأنفاسه ... ومخٌ من يشناكُ مثلُ اسمه

ولبعضهم فيهِ:

أنظر إلى المنتورِ ما بيننا ... وقد كساهُ الطلُّ قمصانا

كأنما صاغتهُ أيدي الحيا ... من أحمرِ الياقوتِ صلبانا

وقال ابن وكيع فيه من قصيدة:

وانظر إلى المشور في ميدانه ... يرنو إلى الناظر من حيث نظرُ

كجوهٍ مختلفٍ ألوانه ... أسلمه سلكُ نظامٍ فانتثرُ

وقال ابن المعتز في مزدوجته في الياسمين الأصفر:

والياسمينُ في ذرى الأعصانِ ... منتظماً كقطع العقيانِ

ولبعضهم من قطعة قبل انفتاحه وأجاد:

خليلي هبا ينقضي عنكما الهوى ... وقوما إلى روضٍ وكأسٍ رحيقِ

فقد لاح زهرُ الياسمين منوراً ... كأقراطٍ در قمعتٍ بعقيقِ

ومن أحسن ما قيل في النيلوفر قول ابن حمديس الصقلي:

ونيلوفرٍ أوراقه مستديرةٌ ... يفتحُ فيما بينهنَّ له زهرُ

كما اعترضتُ خضرُ التراسِ وبينها ... عواملُ أرماحٍ أسنتها همرُ

وقال أيضاً وأجاد:

اشربْ على بركةِ نيلوفرٍ ... محمرةِ الأوراقِ خضراءِ

كأنما أزهارها أخرجت ... ألسنةَ النارِ من الماءِ

وقال الصالح بن رزيك فيه من قطعة:

وبدتْ أوراقُ نوفرها ... كنصالٍ خضبتْ بدمِ

وقال ظافر الحداد فيه:

ونيلوفرٍ يحكي لنا المسكَ بشره ... تراه على اللذاتِ أفضل مسعدِ

تلبسُ لوناً يشغلُ اللحظَ حسنه ... كما عبثتْ كفٌّ بجذِّ موردِ

وقال فيه يخاطب رئيساً:

يا سيداً عمتْ الدنيا نوافله ... وفات سبِقاً فما تحصى فضائله

أنظر إلى نيلوفرٍ في نرجسيته ... كأنه ساعدٌ ضمتْ أنامله

ولبعضهم:

لا تغفلنْ عن الصبوحِ وقم بنا ... نعم بأطيبِ لذّةٍ للأنفسِ

في بركةٍ تبدي لنا نيلوفرًا ... خصلاً تصاحكه عيونُ النرجسِ

كأسنة من فضةٍ قد خضبتْ ... بدمٍ ولقتْ في عصائب سنلسِ

ولبعضهم فيه:

نيلوفرٌ جاءتْ به ... أيدي الربيعِ الحالية

كأناملٍ من فضةٍ ... مسحتْ بقيةً غالية

ولغيره في النيلوفر الأصفر:

حياً بنيلوفرٍ براحته ... تخاله خلقةً وتصويراً

منائراتٍ من زمردٍ حملتُ ... من ذهبٍ أصفرٍ طيفيرا
وقال المملوك فيه:

أرى بكرة تزهو بنيلوفرٍ ندٍ ... كجو سماءٍ زين بالأنجم الزهرِ
تلوحُ بوجه الماء في حسنٍ لونه ... فمن أزرقٍ صافٍ وآخرٍ محمرٍ
كأحقاقٍ ياقوتٍ بمنّ قراصةٍ ... وقد غشيت صونا بأغشيةٍ خضر
وقال السري الموصلِي في حوض ريجان:

وبساطٍ ريجانٍ كماءٍ زبرجدٍ ... عبثت بصفحته النسيم فأرعدا
يشتاقيه الشربُ الكرامُ فكلما ... مرضَ النسيمُ أتوا إليه عودا
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي:

أعدتُ مختلفا ليوم فراغي ... روضاً غدا إنسان عين الباغِ
روضاً يروضُ هموم قلبي حسنه ... فيه لكأسٍ اللهو أيُّ مساغِ
وإذا أتت قضبانُ ريجانٍ به ... حيثُ بمثلٍ سلاسلِ الأصداغِ
ولأبي سعيد الأصبهاني:

وشمامةٍ مخضرةٍ اللونِ غضةٍ ... حوتُ منظرًا للناظرين أنيقا
إذا شمها المعشوقُ خلتَ اخضرارها ... ووجنته فيروزجا وعقيقا
ولأبي الحسن الصقلي في الحماحم منه وأحسن:

أنا بالريجانٍ مفت ... ونٌ ولا مثلُ الحماحمِ
فتأملنهُ تجدهُ عند ... رأً لصبِّ القلبِ هائمٌ
لامةً الجندِ بخض ... رِ القمصِ في حميرِ العمائمِ
وقال ابن قادوس فيه:

هذي الحماحمُ زهرٌ ... تزهو بكلِّ النفوسِ
كأنه حينَ يبدو ... برايةً الأبنوسِ
ولبعضهم فيه:

وريجانٍ تميمُ به غصونٌ ... يطيبُ بشمه شربُ الكؤوسِ
كسودانٍ لبسنِ ثيابٍ خزرٌ ... وقد تركوا مكاشيفَ الرءوسِ
ولغيره:

أما ترى الريجانَ أبدى لنا ... هاجماً منه فأحيانا
تحسبه في ظله والندی ... زمرداً يحملُ مرجانا
ومن أحسن ما قيل في الأقحوان قول ظافر الحداد:
والأقحوانةُ تحكي ثغراً غانيةٍ ... تبسمتُ فيه من عجبٍ ومن عجبِ

في القدِّ والبردِ والريقِ الشهي وطي ... بِ الريحِ واللونِ والتفليحِ والشنبِ
كشمسةٍ من لجينٍ في زبرجدةٍ ... قد شرفتْ تحت مسمارٍ من الذهبِ
وقال ابن عباد الإسكندري في المعنى، وشاركه في كثير من اللفظ:
والأقحوانة تحكي وهي ضاحكةٌ ... عن واضحٍ غير ذي ظلمٍ ولا شنب
كأنها شمسةٌ من فضةٍ حرسَتْ ... خوفَ الوقوعِ بمسمارٍ من الذهبِ
ومن جيد الشعر قول ظافر فيه من قطعة:

والأقحوانة في الرياضِ تحالها ... ثغراً يعضُّ على حروفِ رباعي
ومن جيد الشعر المجهول فيه:

ياربَّ ربيعٍ مقفرٍ موحشٍ ... خالٍ نزلناه قبيلَ العشي
كأنما نورُ الأقاحي به ... ثغرُ فمٍ عضَّ على مشمش
وقال المملوك فيه بديهاً:

انظر فقد أبدى الأقاحُ مباسماً ... ضحكتُ إلينا في قدودِ زبرجدِ
كفصوصٍ درٌّ لطفتْ أجرامها ... قد نظمتُ من حولِ شمسةٍ عسجدِ
وقال ابن المعتز في البهارِ من مزوجة:

وحلق البهار بين الكاس ... جمجمة كهامةِ الشمسِ
ومن أحسن ما قيل في الآس قولُ سليمان بن محمد الطرابلسي:
أحسنُ بقضبانِ آسٍ ... في سائر الدهر توجدُ
كأنها حينَ تبدو ... سلاسلٌ من زبرجدِ
وقال الأحيطل الأهوازي فيه:

للآس فضلُ بقاءه ووفائه ... ودوام منظره على الأوقاتِ
قامتْ على أغصانهِ ورقاته ... كنصولِ نبلِ جدِ مؤلفاتِ
ومن أحسن ما قيل في الشقائق قول كشاجم:

أما الظلامُ فقد لفت غلالته ... والصبحُ حينَ بدا بالنورِ يختالُ
فانظر بعينك أغصانَ الشقائقِ في ... فروعها زهرٌ في الحسنِ أمثالُ
من كلِّ مشرقةِ الأوراقِ ناضرةٍ ... لها على الغصنِ إيقادٌ وإشعالُ
كأنها وجناتٌ أربعٌ جمعتُ ... وكلُّ واحلةٍ في صحنها خالُ
وقال بعض آل حمدان:

شقيقةٌ شقَّ على الورد ما ... قد اكتسبتُ من بهجة الصبغِ
كأنها من حسنها وجنةٌ ... يلوحُ فيها طرفُ الصدغِ
وأخذ الأمير مجد الدين أسامة بن منقذ رحمه الله فقال:
لأعجبُ ما صاغَ الربيعُ من الزهر ... مداهنُ تبرٍ ما يصغن من التبر

شقائقُ في أغصانِ تبر كأنها ... حدودٌ بدت فيها عوارضُ من شعر
وقال ابن وكيع:

شقيقةٌ جاءتك من روضةٍ ... يقصر عنها كل مشمومٍ

سوادها في صبغٍ محمرها ... كشامةٍ في خد ملطومٍ

وقال أبو الفضل الميكالي:

سل الربيعُ على الشتاءِ صوارماً ... تركتهُ مجروحاً بلا أعمادٍ

وبكت له عينُ السماءِ بأدمعٍ ... ضحكتُ لساجمها ربي الأنجادِ

وبدتُ شقائقها خلالِ رياضها ... تزهى بشويهِ حمرةٍ وسوادِ

فقتو حمرةً خضابُ نجيعه ... وسوادُ كسوتها لباسُ حدادِ

وله أيضاً:

كأنَّ الشقائقَ إذا أبرزتْ ... غلالةٌ لاذٍ وثوبٌ أحمرٌ

قطاعٌ من الجمرِ مشبوبةٌ ... بأطرافها لمعٌ من حممٍ

أخذه الطغرائي فقال:

وبين الرياضِ الجونِ زهرُ شقائقٍ ... تطاردها حمراً أسافلها سخام

كما طرحتُ في الفحمِ ناراً ضعيفةً ... فمن جانبِ جمرٍ ومن جانبِ فحمٍ

وأخذهُ ظافرُ الحدادِ فقال:

والشقائقُ جمرٌ في جوانبهٍ ... بقيةُ الفحمِ لم تستره باللهبِ

وقال الأمير الميكالي أيضاً:

تصوغُ لنا كفُّ الربيعِ حدائقاً ... كعقدِ عقيقٍ بينَ سمطِ لآلي

ويهنُّ أنوارُ الشقائقِ قد حكتْ ... حدودَ عذارى زينتُ بغوالي

وقال ابن رشيقي القيرواني:

رأيتُ شقيقةً حمراءَ بادٍ ... على أطرافها لطخُ السوادِ

تلوحُ بها كأحسنَ ما تراهُ ... على شفةِ الصبيِّ من المدادِ

وقال ابن الزقاق من قصيدة:

والغصنُ فوقَ الماءِ تحتَ شقائقٍ ... مثلَ الأسنةِ خضبتُ بدماءِ

كالصعدةِ السمراءِ تحتِ الرايةِ ... الحمراءِ فوقَ اللأمةِ الخضراءِ

وللخبازِ البلدي:

هاتِ المدامةَ يا شقيقي ... نشربُ على زهرِ الشقيقِ

كاسَ العقيقِ نديرها ... ما بينَ كاساتِ العقيقِ

وقال الطغرائي:

وترى شقائقه خلال رياضها ... أوفت مطاردها على أزهارها
وكأنها والريح تصقلُ خدها ... والسحبُ تملؤها بصفو قطارها
أقداحُ ياقوتٍ لطافُ أترعتُ ... راحاً فبات المسكُ حشو قرارها
وكأنها وجناتُ غيدٍ أهدقتُ ... بخدودها حمراً خطوطُ عذارها
وقال البحترى فيه وفي الطل:

يذكرنا ريحَ الأحبة كلما ... تنفس في جنح من الليلِ باردٍ
شقائقُ يحملنَ الندى فكأنها ... دموعُ التصابي في حدودِ الخرائدِ
ولابن وكيع في مثله:

قم فاسقني يا رفيقي ... من السلافِ الرحيقِ
أما ترى الطلَّ يحكي ... على احمرارِ الشقيقِ
لآلئاً ضمننتها ... مداهنٌ من عقيقِ
وقال ابن حمديس:

ولم تر عيني بينها كشقائق ... تلبلها الأرواحُ في الورقِ الخضرِ
كما مشطتُ غيدُ القيانِ شعورها ... وقامت لرقصٍ في غلائلها الحميرِ
وقال المملوك فيه، وما يظنُّ أنه سبق إلى مثل هذه القطعة:
يا صاحبي قم فانظر الدنيا فقد ... جاءت لهجتها بأحسنِ منظرِ
أوما ترى جيشَ الشتاء لما مضى ... لقتال جيشِ ربيعنا لم ينصرِ
بل فرَّ منهزماً وطبلُ رعوده ... عطلَّ ويضُّ بروقه لم تشهرِ
وأتى بعسكره الربيعُ ففرقتُ ... فوقَ البسيطِ جندَ ذاك العسكرِ
وغدت له خضرُ الزروع كأنها ... قد ألبست حلقَ الحديدِ الأخضرِ
فبكلِّ خضراءِ النباتِ كتيبةٌ ... فيها شقائقه كبنديٍّ أحمرِ
وقال في المعنى قطعة، وهو يسردها على كماها لإعجابه بها:

ألا حرست من روضةٍ قد حللتها ... وقد رقَّ فيها ماؤها وهوؤها
وقد أشرعتُ فيها الجداولُ جريها ... إلى شجرٍ منها يحيى نماؤها
ولاح لنا زهرُ الشقائقِ يانعاً ... كمثل زنوجِ ضرجتها دماؤها
فمن كلِّ قاعِ أخضرٍ وشقيقةٍ ... كتيبةٌ حسنٍ وهي فيها لواؤها
وغت على الأوراقِ ورقٌ كأنها ... لإطرابنا قد طال منها غناؤها
تعجبتُ منها ألبست من سوادها ... حدادا وقد أسجى القلوبَ بكاؤها
وأعجبُ من رقصِ المياهِ وقصدها ... زمرد أشجارِ الربا وهوؤها
وقال بالشام وقد رأى منها مروجاً كثيرة:

انظر إلى حسنِ شقيقِ الربا ... تنظرُ إلى ما يجملُ الزهرا

من كلِّ حمراءَ بما نقطةٌ ... سوداءُ طابت بيننا نشرا
كمثلِ خدِّ فوقه شامةٌ ... مسودةٌ قد أنبتت شعرا
أو قطعةِ المسك إذا ألقيتُ ... في وسطِ كأسٍ ملئتِ حمرا
وقال بديها بطريق الشام:

إني لأبغضُ للشقائق منظرًا ... سمجاً لأن أديمه لون الدم
فكأنما هي جرحُ طعنةٍ أسمرٍ ... قد سد أوسطها بقطعة مرهم
ومن أحسن ما قيل في تشبيه ورد الباقلاء قول الصنوبري:
ونباتِ باقلاء يشبهُ زهره ... بلق الحمام مقيمةً أذناهما
وقال كشاجم في المعنى وقصر عنه.

تحالُّ فيه النورُ جزعاً من ذهبٍ ... أو بلق طيرٍ وقع على القصبِ
ولأبي عامر محمد بن فرح الأندلسي:

كلفتُ بنورِ باقلا سبتي ... كمامته فسرى فيه فاش
إذا نزل الفراشُ عليه يوماً ... حسبتَ النورَ أفراخَ الفراشِ
ولابن وكيع فيه:

طرفَ الباقلاء فيه بوردٍ ... ناظرِ اللحظِ من عيونِ الحورِ
بياضِ سواده فيه يحكي ... سبجاً نابتاً على بلورِ
وقال فيه أيضاً:

كأنَّ أوراقِ وردٍ ... للباقلاء بهيه
خواتمٌ من لجينٍ ... فصوصها حبشيه
وقال أيضاً:

نور الباقلاء نوراً طريفاً ... جلَّ في حسنه عن الأشكال
قد حكى ورده لنا إذ تبدى ... سررَ الرومِ ضمخت بالنعوالي
وقال فيه من قصيدة:

كأنَّ وردَ الباقلاء إذا بدا ... لناظريه أعينٌ فيها حورُ
كمثلِ الحاظِ اليعافيرِ إذا ... روعها من قانصٍ فرطُ الحنرُ

كأنه مداهنٌ من فضةٍ ... أو ساطها فيها من المسك أثرُ
كأنها سوائفٌ من خردٍ ... قد زينت سوادها ببيض الطرز
وله فيه:

لي نحو وردِ الباقلا ... ءِ إدمانُ لحظٍ ولهجُ
كأنما مبيضه ... يلوحُ في ذاك الدعجُ

خواتم من فضة ... فيها فصوص من سبخ
وله أيضاً:

ألا سقنيها برغم العذول ... تحاكي لنا الذهب الأحمر
فقد نور الروض منثور ... وأحسن بجوهره جوهراً
ونور ورد من الباقلاء ... يحاكي لنا الناظر الأحورا
أشبه أسوده في البياض ... دارهم قد ضمخت عنبرا

الفصل الثاني

في ذكر التشبيه الواقع في الأثمار

من أحسن ما قيل في الأترج قول أبي طالب الرقي:
مصفرة الظاهر ببيضاء الحشا ... أبدع في صنعها رب السما
كأنها كف محب دنف ... مبعده يحسب أيام الجفا
وأشد أبو علي بن رشيقي لبعض أهل القيروان:

ما أحسن الأترج في الجنان ... لبعضه فوق ذرى الأغصان
إشارة التسليم بالبنان

وقال ابن المغيرة من قصيدة:

وكان الأترج كف كعاب ... جمعت لضمها بسوار

وقال ابن رشيقي بديها:

أترجة سبطة الأطراف ناعمة ... نلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفاً لخالقها ... تدعو بطول بقاء لابن باديس
وقال كشاجم:

يا حبذا يومنا ونحن على ... رؤوسنا نعقد الأكاليل

في جنة ذلت لقاطفها ... قطوفها الدانيات تذليل

كان أترجها تميل به ... أغصانها حاملاً ومحمولاً

سلاسل من زبرجد حملت ... من ذهب أصفر قناديلاً

وقال الزاهي في أترجة:

وذات جسم من الكافور في ذهب ... دارت عليه حواشيه بمقدار

كأنها وهي قدامي ممثلة ... في رأس دوحتها تاج من النار

وقال أحمد المزدقاني:

فديت أترجة أتنا ... رقة جلبابها تسر

كعسجدٍ تحته لجينٌ ... بينهما جوهرٌ ودرٌ

وقال ابن مؤمن وقصر:

كأنما أترجه المصبعُ ... أيدي جناةٍ من زنودٍ تقطعُ

وكتب المفتح البصري إلى غلامه أبي سعيد، وقد أهدى له طبقاً فيه أترج و نارنج وقصب سكر:

إنَّ شيطانك في الظر ... فِ لشيطانٍ مريدٌ

فلهذا أنتَ فيه ... تبتدي ثمَّ تعيدُ

قد أتتنا تحفةً من ... لك على الحسنِ تزيدُ

طبق فيه هودٌ ... وخذودٌ وقودٌ

ومثل هذه القطعة قول أبي عبد الله بن الطويبي الصقلي:

جاءني من عند سعدٍ ... طبقٌ لي فيه سعدٌ

فيه راحٌ حولها آ ... سٌ وتفاخٌ ووردٌ

قلتُ أهدى لي فيه ... ملحاً ليستَ تحدُّ

ذي رضابٍ وهودٌ ... وعدادانٍ وخذٌ

ومن أحسن ما قيل في النارنج قول ابن وكيع:

ألا سقني الراحَ في جنةٍ ... طرائفُ أثمارها ترهٌ

كأنَّ تماثيلَ نارنجها ... إذا ما تأملهُ المبصرُ

دبابيسُ من ذهبٍ زانها ... مقابضُ كيمختها أخضرُ

وقال صاحب بن عباد:

بعثنا من النارنج ما طابَ عرفهُ ... ومنتَ على الأغصانِ منه نوافحُ

كراتٌ من العقيانِ أحمرَ خرطُها ... وأيدي الندامي حولهنَّ صواجُ

وقال أبو الحسن العقيلي، فشاركه في المعنى وزاد عليه:

ونارنجةٍ بين الرياضِ نظرُها ... على غصنِ رطبٍ كقمامةٍ أغيدِ

إذا ميلتها الريحُ مالتَ كأكرةٍ ... بدتْ ذهباً في صولجانِ زبرجدِ

وقال أبو الحسن الصقلي:

تتعم بنارِ نَجكِ المجتنى ... فقد حضر السعدُ لما حضرُ

فيما مرحباً بقدودِ الغصونِ ... ويا مرحباً بخدودِ الشجرِ

كأنَّ السماءَ همتْ بالنضارِ ... فصاغتْ لنا الأرضُ منه أكرُ

وقال كشاجم، وأحسن:

كأنما النارنجُ لما بدتْ ... أغصانهُ في الورقِ الخضِرِ

زمردٌ أهدى لنا أنجماً ... مصوغةً من خالصِ التبرِ

إذا تحيينا بما خلطنا ... نستنشقُ المسكُ من الخمرِ

وشبهه المملوك في أشجاره فقال من قطعة:
ترى حمرة النارج بين اخضرارها ... كحمرة خدّ واخضرار عذار

إذا لاح في كفّ الندامي عجبت من ... جنان تحايا ساكوه بنار
وكان السلامي شاعراً مجيداً فسافر في صباه من مدينة السلام إلى الموصل وبها جماعة من كبار الشعراء، مهم
السريّ الرفاء، والخالديان، والتلعفري، وأبو الفرج البيهقي؛ فأنكروا ما سمعوا من شعره، فقال لهم أبو بكر
الخالدي: أنا أكفيكم أمره. ثم صنع دعوة وجمعهم فيها، وأخذوا في التفتيش عن مقدار بضاعته، واتفق أن
وقع بردٌ ستر الأرض كثرة، فقام الخالدي عجلًا، وألقى عليه نارنجًا كثيرة، وقال: يا أصحابنا اصنعوا في هذا
شيئًا. فارتجل السلامي على العجل، فقال:
لله درُّ الخالديّ ... الأوحِدِ النَّدبِ الحِيطِرُ
أهدى لماء المزن عن ... دجموده نارَ السعيرِ
حتى إذا صدر العتا ... بُ إليه عن حنق الصدورِ
بعثت إليه بعذره ... مع خاطري أيدي السرورِ
لا تعذلوهُ فإنه ... أهدى الحدودَ إلى الغورِ
وقال أبو الفرج الوأواء:

ونارج تميلُ به غصونٌ ... ومنها ما يرى كالصولجانِ
أشبههُ ثدياً ناهداتٍ ... غلاتلها صبغَنَ بزعفرانِ
وهذا معنى قد تداولته الشعراء وليس بالبديع: ومما قاله فيه بعضهم:
إذا ما تبدى في الغصونِ حسبه ... فهوَدَ عذارى مسهنٌ خلقُ
ولآخر أيضاً:
تطالعا بينَ الغصونِ كأنها ... فهوَدَ عذارى في ملاحفها الصفرِ
ولآخر أيضاً:

سقاها الندى والطلُّ حتى كأنها ... شبيهةٌ همدٍ في غلالةٍ لاذِ
وقال ظافر الحداد يشبهه في أشجاره، وذكر تحدر القطر عليه:
تأملُ فدتك النفسُ يا صاحٍ منظرًا ... يبيتُ به القلبُ الكئيبُ على فكرِ
حيا وابلٍ يجري على شجرٍ بدا ... به ثمرُ النارجِ كالأكْرِ التبرِ
دموعٌ حداها الشوقُ فأنهملتُ على ... حدودٍ تراءتْ تحت أنقبةٍ خضرِ
وقال المملوك في طبق فيه نارج عليه طلع مفرط:
انظر إلى النارج والطلع الذي ... جاء الغلامُ بجمعهم متميلاً
وكأنما النارجُ قد صاغوه من ... ذهبٍ قناديلاً وذاك سلاسلًا
وأحسن ما قيل في التفاح قولُ ابن دريد.

وتفاحة من سوسنٍ صيغَ نصفها ... ومن جنانٍ نصفها أو شقائق
كأن الكرى قد ضم من بعد فرقةٍ ... بما خد معشوقٍ إلى خدٍ عاشقٍ
وقال الصاحب بن عباد وأجاد:

ولما بدا التفاحُ أحمرَ مشرقاً ... دعوتُ بكأسي وهي ملىء من الشفقِ
وقلتُ لساقِها أدرها فإنها ... خدودُ عذارى قد جعنَ على طبقٍ
وقال المملوك في تفاحةٍ:

تفاحةٌ محمرةٌ قد بدتُ ... تميلها الريحُ على غصنٍ
كأنها خدان قد جمعا ... يلوحُ فيهما طابعا حسنٍ
وينسب إلى ابن المعتز في اللفاح، ولست أظنه له:
ودوحة لِفاحٍ جنيناً ظلالها ... وأوراقها تحكي لنا ريش طاووس
شربتُ بها روح الحميا مواصلاً ... إلى الصبح حتى رحتُ في زي قسيس
وقد أشرفَ اللفاحُ فيها كأنه ... نُهودُ عذارى في مراتش تيسي
وينسب إليه أيضاً:

انظر إلى اللفاح في شكله ... وحسنه المتدع النقش
مثل عروسٍ خصبتُ كفها ... لم يعلق الحناء بالغش
وقال كشاجم الأصغر:

وجاء المضيفُ بلفاحهٍ ... فطابَ ولو فاته لم يطبُ
نجومٌ بلا فلكٍ دائرٍ ... ولكنَّ أوراثةً من ذهبٍ
روائحها من شذا مسكةٍ ... وأجسامها أكرُّ من لهبٍ
ولبعضهم:

فديتُ من حيا بلفاحهٍ ... أحيا بها قلبي وأوصابي
كأنها في كفه أكرةٌ ... ملفوفةٌ في ثوبِ عنابٍ
ومن أحسن ما قيل في المشمش قول ابن وكيع:
بدا مشمش الأشجار يذكرُ شهابه ... على خضرٍ أغصانٍ من الريِّ ميدٍ
حكى وحكتُ أشجاره في اخضرارها ... جلاجل تبرٍ في قبابٍ زبرجدٍ
ولغيره في هذا المعنى:

بدا مشمشُ الأشجارِ فيها كأنه ... يلوحُ على تلك الغصونِ الموائلِ
قبابٌ بمخضرٍ الدبابيح غشيتُ ... وقد زيتتُ من عسجدٍ بجلاجلِ
وقال محمد بن عطية بن حيان الكاتب القبرواني:

ومشمش ما بدا يوماً لذي بصرٍ ... إلا وأصبح بين العجبِ والعجبِ
كأنَّ مخبره وصفاً ومنظره ... شهدتُ تكفهُ قشرٌ من الذهبِ

وقال ابن رشيقي في هذا المعنى:

كأنما المشمش لما بدت ... أشجاره وهو بها يلتهب
خضر قباب الملك حفت بها ... جلاجل مصقولة من ذهب

ومن أحسن ما قيل في العنب قول ابن الرومي:

كأن الرازقي وقد تناهى ... وتاهت بالعناقيد الكروم
قوارير بماء الورد ملأى ... تشف ولؤلؤ فيها يعوم
وتحسبه من الشهيد المصفي ... إذا اختلفت عليك به الطعوم
فكل مجمع منه ثريا ... وكل مفروق منه نجوم

وقال الصاحب بن عباد في حبة عنب:

وحبة من عنب قطفتها ... تحسدها العقود في التراب
كأنها من بعد تمييزي لها ... لؤلؤة مثقوبة من جانب

ومن الشعر الجهول:

وحبة من عنب ... من المنى متخذة

كأنها لؤلؤة ... في وسطها زمردة

وقال ابن وكيع في كرم عنب:

شربت مجاج الكرم تحت ظلاله ... على وجه معشوق الشمائل أغيد

كأن عناقيد الكروم وظلها ... كواكب در في سماء زبرجد

ولمحمد بن عبد الحسن الكفري طاب يشكر صديقاً له، وقد أهدى إليه طبق عنب أسود ومغطي بورق أخضر:

جاءنا منك تحفة نحن منها ... أبداً في تضاعف السراء

عنب أسود كأن عليه ... حلالاً من حنادس الظلماء

خلته في خلال أوراقه الخض ... ر ولون اسوداده والصفاء

كقموع على أنامل خود ... نحن من كم لاذة خضراء

وقال الطغرائي في كرمة:

ترى الثريا من عناقيدها ... تلوح في أخضرها كالغيب

كم درة فيها وكم جرة ... صحيحة التدوير لم تقب

كأنما الحالك منها لدى ... أبيضها اللامع كالكوكب

خيال من روم وزنج عدت ... في حسن خضرتها تحيي

ومن أحسن ما قيل في الخوخ المشعر بيتان ينسبان إلى ابن المعتز:

وبنت ندى مخططة الأعلي ... بمحمر كلون الأرجوان

كوجنة غادة خافت رقيباً ... فغطتها بمحمر البنان

ومن قطعة لبعض الشعراء في خوخة زهرية، وأحسن التشبيه:

فخلتها في يديه حين ناولني ... نصفين من ذهب صيغا ومرجان
وقال الموفق بن كامل في الخوخ وإن كان بيت التوطئة ليس بالجيد:
في الخوخ يأخذني جنس ... فكأنه نظرٌ ولمس
شقُّ تواصل غوره ... فكأنه دبر وكنس
ومن أحسن ما قيل في الطلع قول ابن المعتز:
أفدى الذي أهدى إلينا طلعةً ... أهدتُ إلى قلبي المشوقِ بلا بلا
فانظر إليه كرورقٍ من فضةٍ ... قد أودعوه من اللجينِ سلا سلا
وينسب إليه في المعنى:

كأنما الطلعُ يحكي ... لناظري حين أقبلُ
سلا سلاً من لجين ... يضمها تحت صندلُ
وقال ابن وكيع فيه:

طلع هتكنا عنه أنوابه ... من بعد ما قد كان مستورا
كأنه لما بدا ضاحكاً ... في العين تشبيهاً وتقديراً
درج من الصندل قد أودعتُ ... فيه يدُ العطارِ كافورا
وقال أيضاً:

وطلع هتكنا عنه جيبَ قميصه ... في حسنه من منظرٍ حين هتكنا
حكى صدرَ خودٍ من بني الروم هزها ... سماعٌ فشقتُ عنه ثوباً ممسكا
وقال كشاجم وأجاد:

قد أتانا الذي بعثتَ إلينا ... وهو شيءٌ في وقتنا معدومٌ
طلعةً غضةً أتتنا تحاكي ... سقطاً فيه لؤلؤٌ منظومٌ
ولابن رشيق:

وكم بيضاء مسكياً قناها ... من الإغريضِ حسناءِ الجميع
هتكتُ حجابها عنها فأبدتُ ... لسانَ البحرِ في يسرِ الضريع
أو العضدَ الطريةَ حين أبقتُ ... بما آثارها حلقُ الدروعِ
وقال ابن المعتز من قطعة في تشبيهاً في نخلها:

يحاكي في رءوسِ النخلِ لما ... بدا للعينِ آذانَ الحميرِ
ومن الشعر الجهول:

ومريضة الأجنانِ تف ... تن كلَّ ذي عقلٍ وناسكٍ
أهدتُ إلينا طلعةً ... والشوقُ للإحسانِ ناهكُ
وكأنها لما بدتُ ... في كفها مكوكُ حائكُ
حتى إذا فضتُ رأي ... ت من اللجينِ بما سباتكُ

ومن أحسن ما قيل في البلح قول ابن وكيع:
أما ترى النخل حملت بلحاً ... جاء بشيراً بدولة الرطب

مخازن من زبرجدٍ خرطت ... مقمعات الرعوس بالذهب
وقال المملوك من قطعة:

قطع الزبرجد غشيت بخرائط ... محضرة قد لطفت من لاذ
وقال ابن وكيع في البسر الأحمر:

أما ترى النخل حاملات ... بسراً حكى لونه الشقيقا
كأنما خوصه عليه ... زبرجدٌ مثمرٌ عقيقا
ولبعض شعراء اليتيمة العراقيين:

أما ترى التمر يحكي ... في الحسن للنظار
مخازناً من عقيق ... قد قمعت بنضار
كأنما زعفران ... فيه مع الشهيد جار
يشف مثل كؤوس ... مملوءة بعقار
ولابن وكيع في البسر الأصفر:

أما ترى البسر الذي ... قد حاز كل العجب
كيف غدا في لونه ... كعاشقٍ مكتتب
مكاحل من فضة ... قد طليت بالذهب
وقال ابن القطاع في البسر الأحمر:

أنظر إلى البسر إن صورته ... أحسن ما صورة رأى الرائي
كأنما شكله لمبصره ... أنامل قمعت ببناء
ومما يتعلق بما ذكرناه قول بعض الشعراء في الجمار:
أهدى لنا جمارة ... من لست أخلو من عذابه
فكأنما هي جسمه ... لما تجرد من ثيابه
ومن الشعر المجهول أيضاً فيه:

جمارة كالماء لكنها ... ما بين أطمار من الليف
كأنها جسم رطيبٌ وقد ... لف في ثوب من الصوف
ومما يتعلق بتشبيهه الطلع وما ذكرناه قول بعض الشعراء في تشبيه النخل:
أنظر إلى الظل والضباب ... وحجة الشمس في السحاب
وانظر إلى النحلة الفرادی ... كأنها محوض التراب
وقال ظافر الحداد من قطعة:

والنخل كالهيف الحسان ترينت ... فلبسن من أثمارهن قلاتدا
وقال ابن نبطويه في النخل:

كأتما النخل وقد نكست ... رؤوسها الريح بأذبالها

أحبةً فارقتها إليها ... فأطرقت تنظر في حالها

وكان المملوك قد صنع في الموز:

كأتما الموز الذي ... قد جاءنا بالعجب

أنياب أفيال صغا ... ر طليت بالذهب

فسمع قطعة في المقشر منه:

يحكي إذا قشرته ... أنياب أفيلة صغاراً

ولم يكن المملوك وقف عليها، فصدق توافق الخواطر، ووقوع الحافر على الحافر. وقال أيضاً فيه:

انظر إلى الموز تفرز ... منه بلون بهج

أصفر مثل التبر في ... ه أسود كالسيح

كسكر أوعى في ... خرائط ممزج

ومن أحسن ما قيل في الرمان قول كشاجم:

ولاح رمانها فزينها ... بين صحيح وبين مفتوت

من كل مصفرة مزعفرية ... تفوق في الحسن كل منعوت

كأتما حقة فإن فتحت ... فصرة من فصوص ياقوت

ولبعض الكتاب العراقيين من شعراء اليتيمة:

ورمان رقيق القشر يحكي ... هود الغيد في أنواب لاذ

إذا قشرته طلعت علينا ... فصوص من عقيق أو نجاد

وقال المأموني في رمانة مفتوتة:

رمانة ما زلت مستخرجاً ... في الجام من حقتها جوهراً

فالجام أرض وبناني حيا ... يطر ياقوتاً بما أحمر

وقال أبو القاسم بن القطاع:

رمانة مثل همد العاتق الريم ... تزهى بلون شكل غير مذموم

كأتما حقة من عسجد ملنت ... من اليواقيت نثراً غير منظوم

ومن قطعة مجهولة:

والقشر حق نضار ضم داخلها ... والشحم قطن بما والحب ياقوت

وقال أبو الحسن الجوهري:

وحبات رمان ليطاف كأتما ... شوارد ياقوت لطفن عن الثقب

أشبهها في لونها وصفانها ... بقطرات دمع وردت من دم القلب

ومن أحسن ما قيل في السفرجل، قول الصنوبري:
لك في السفرجل منظرٌ تحظى به ... وتفوزُ منه بشمه ومذاقه
يحكي لك الذهب المصفى لونه ... وتزيدُ بهجته على إشراقه
والشكلُ في أعلاه يحكي سفله ... ثدي الكعابِ إلى مدارِ نطاقه
وقال أبو محمد الداودي الهروي فيه:
غصونُ السفرجلِ ملتفةٌ ... فمعتدلُ القدِّ أو منثني
وقد لاحَ في زئبرِ شاملٍ ... كصفراءَ في معجرِ أدكنِ
ولأبي بكر بن نعيم الدمشقي فيه وقصر

قم فاسقني يا نديمي ... ما بتلكَ الدنان
أما ترى ما أراه ... من بهجةِ البستان
ومن سفرجلِ دوحٍ ... حوى جميعَ المعاني
كأنه حينَ ييدو ... على ذرى الأغصان
رءوسُ أطفالِ رومٍ ... لطخنَ بالزعفران

وقال ابنُ رشيقي في الكمثرى وفيه، وهو أحسن ما قيل، وإن كان معنى الصنوبري بعينه. إلا أنه جمعه في بيت واحد:

نظرت من البستان أحسن منظر ... وقد حجبَ الأغصانُ شمسَ المشارق
إلى دوحِ كمثرى يلوحُ كأنه ... قناديلُ تبرِ محكماتُ العلائقِ
وسافرة عن أوجهٍ من سفرجلٍ ... يجيل على معنَى من الحسنِ فائقِ
حكمت سرر الغاداتِ منها أسافلٌ ... وتحكي أعاليها فهود العواققِ
ومنه قول الطغرائي فيه وزاد زيادةً بينة:

وسفرجل عني المضيفُ بحفظه ... فكسأه قبل البردِ خزراً أغبراً
يحكي فهودَ الغانياتِ وتخته ... سرراً لهنَّ حشينَ مسكاً أذفراً
ومن جيد الشعر الجهول في الكمثرى وهو نص هذه المعاني:
حيا بكمثريةٍ لوئها ... لونٌ محبٌّ زائدُ الصفرةِ
تشبهُ همدَ البكرِ إن أقعدتُ ... وهي لها إن قلبتُ سره
ومن أحسن ما قيل في التين قولُ كشاجم من قطعة:

يشبهُ في اللونِ وطيبِ الأرج ... نوافجَ المسكِ وطعمَ الثلجِ
مثل رءوسِ الغلفِ سودِ الدعجِ ... أو كئدايا ناهداتِ الزنجِ
وأخذهُ ابن خفاجة الأندلسي وحسنه فقال:

وسودِ الوجوهِ كلونِ الصدودِ ... تبسمنَ تحتَ عبوسِ الغبشِ

إذا ما تجلى بياضُ الضحى ... تطلعنَ في وجهه كالنمش
كأني أقطفُ مها ضحى ... ثديَّ صغارِ بناتِ الحبش
ووجدت منسوباً إلى الأميرِ مجد الدين أسامة بن منقذ في المعنى:
أما ترى التينَ في الغصونِ بدا ... ممزقَ الجلدِ مائلَ العنقِ
كأنه ربُّ نعمةٍ سلبتُ ... أصبح بعد الحديدِ في خلقِ
أو كأخي شرقةً أغيظَ فقدُ ... مزقَ جليابهُ من الحنقِ
مثلَ هُمودِ الأبقارِ صورتهُ ... لولا ينادي عليه في الطرقِ
يا لهفَ قلبي على زيارته ... قبلَ جفافِ الندى على الورقِ
وقال ابن خفاجة فيه من قطعة:

وقد كنتُ أغرى بلعسِ الشفاه ... فكيفَ به وهو كلُّ لعس
وهاهو يبسمُ تخطيطُهُ ... وقد كان بالأمس يتلو عيسُ
وقد سالَ من فمه شهده ... كما سالَ ريقُ حبيبِ نعس
وقال أكشاجم في الأصفر منه، من قطعة، وأحسن ما شاء:
قم قد أتى ضوءُ الصباحِ المسفر ... يا صاح نغتنم الحياةَ وبكرِ
نلمُّ بتينٍ لذ طعماً واكتسى ... حسناً وقارب منظرًا في مخبرِ
كالثلجِ طعماً في صفاءِ الدر في ... ريحِ العبيرِ وفوقِ طعمِ السكرِ
لطفتُ معانيه لطافةً عاشقٍ ... في لونِ مشتاقِ حليفِ تفكرِ
يحكي إذا ما صفَّ في أطباقه ... ختما يلوحُ من الحروبِ الأصفرِ
وقال أيضاً فيه وفي الأسود، وأجاد:

أهلاً بتينِ جاءنا ... مشتملاً على طبقِ
يحكي الصباحِ بعضه ... وبعضه يحكي الغسقِ
كسفرةٍ مضمومةٍ ... مجموعة بلا حلقِ
وقال كشاجم في النبق، وأجاد:

وظل سدرٍ مثمرٍ وإني الهدبُ ... فيه لأنواع من الطيرِ صخبُ
إذا الرياحُ زعزعتُ منه الشعبُ ... أبدى لنا بنادقاً من الذهبِ
ومن الشعرِ الجهول:

وسدرةٍ كلَّ يومٍ ... من حسنِها في فنونِ
كأنما النبقُ فيها ... إذا بدا للعيونِ
جلالٌ من نضارٍ ... قد علقَتْ في الغصونِ
ومن جيد الشعرِ قولُ المستهام في توت:
قوموا غل الثوتِ سراعاً وانشطوا ... فإنه على الأذى مسلطُ

كأنه إذ لاحَ في أطباقه ... حماهن بعندمٍ منقطُ
وقال ظافر الحدادِ في اللوزِ الأخضرِ، وأحسن:
جاءَ بلوزُ أخضرٍ ... أصغره ملءُ اليدِ
كأنما زئبرُهُ ... نبتُ عذارِ الأمرِ
كأنما قلوبه ... من توأمٍ ومفردِ
جواهرٌ لكنما ال ... أصداقُ من زبرجدِ
ومن الشعرِ الجيدِ في اليربوجِ قول بعض الشعراء:
الأنفُ والعينانِ في يربوجهِ ... لونُ الحبِّ وعطرةُ المعشوقِ
صفراءُ طيبةُ النسيمِ كأنها ... بلورةُ محشوةٌ مخلوقِ

الفصل الثالث

فيما وقع من التشبيه في سائر النبات والأبقال

ومن أحسن ما قيلَ في البطيخِ الخراساني قول المأموني من قطعة:
مخططةٌ ملءُ الأكفِّ كأنها ... من الجزعِ كبرى لم ترعَ بنظامِ
إذا فصلتُ للأكلِ كانتُ أهلةً ... وإن لم تفصلْ فهي بدرٌ تمامِ
وأخذ هذا المعنى أبو الفتح ابن قلاقس وزاد عليه فقال:
أتانا الغلامُ بطيخةً ... وسكينةً جودوها صقالا
فقطع بالبرقِ بدرِ الدجا ... وناول كلَّ هلالِ هلالا
وقال المأموني أيضاً:
ومصفرةً فيها طرائقُ خضرةٍ ... كما اخضرَّ مجرى السيلِ في صيبِ الخزنِ
كحقةٍ عاجِ زينتُ بزبرجدِ ... حوتُ قطعَ الياقوتِ في عطبِ القطنِ
ومن جيد الشعرِ الجهورِ قول بعض الشعراء من قطعة:
فمالَ إلى بطيخةٍ ثم شقها ... وقسمها ما بينَ كلِّ صديقِ
فشبهتها لما بدتْ في أكفهمِ ... وقد أخذتُ منهمِ كنوسِ رحيقِ
صفائحِ بلورٍ أتتْ في زبرجدِ ... مرصعةً فيها فصوصُ عقيقِ
ولغيره فيها وأجاد:
وذاتِ ريقٍ إن ترشفتُهُ ... وجدته أحلى من الأمنِ
إذا بدتْ في كفِّ جلابها ... رأيتها في غايةِ الحسنِ
كسلةٍ خضراءَ مختومةٍ ... على الفصوصِ الحمرِ في القطنِ
وقال المأموني في العنابِ:

يروقني العنابُ ... فلي إليه انصبابُ
إذ لآح لي منه أطرا ... ف من أحب الرطابُ
يحكي فرائدَ درٍ ... لها العقيقُ إهابُ
ومن الشعر الجهول في الطريّ منه:
هاتِ اسقني القهوةَ في سبتنا ... فإنَّ يومَ السبتِ يومُ السرورِ
أما ترى العنابَ في دوحه ... كأنه رطبُ قلوبِ الطيورِ
ومن قطعة أخرى:

لدى عنابِ بستانٍ يحاكي ... أناملُ عادةٍ كسيّتْ خضابا
ومن أحسن ما قيل في الصنوبر:
صنوبرٌ ظلتُ به مولعاً ... لأنه أطيّبُ موجودِ
كأنه الكافورُ في لونه ... تحويه أدراجُ من العودِ
ومن أحسن ما قيل في الفستق قول أبي إسحاق الصابي من قطعة:
والنقلُ من فستقٍ حديثٍ ... رطبُ تبدى فيه الجفافُ
لي فيه تشبيهُ فيلسوفٍ ... ألفاظه عذبةٌ خفافُ
زمرّدُ صانه حريراً ... في حقِّ عاجٍ له غلافُ
وينسب إلى ابن المعتز:

وحظي من قل إذا ما نعتُهُ ... نعتُ لعمري منه أحسن معوتِ
من الفستقِ الشاميّ كلُّ مصنونةٍ ... تصانُ من الأحداقِ في بطونِ تابوتِ
زبرجدةٌ ملفوفةٌ في حريرةٍ ... مضمنةٌ داراً مغشي بياقوتِ
وله فيه أيضاً:

وفستقٌ مستلذٌّ ... من بعدِ شربِ الرحيقِ
كأنه حينَ ترنو ... إليه عينُ الرموقِ
حقٌّ من العاجِ يحوي ... زمرداً في عقيقِ
وللمأموني في اللوز:

ووافتْ بخضرٍ في ثلاثِ مدارعٍ ... حذاهنَّ في شكلِ النواظرِ حاذِ
توايبتُ في خضرِ الخروزِ تضمنتُ ... مكفنَ عاجٍ في مصندلٍ لاذِ
ومن الشعر الجهول في الجوز:

جاءَ بجوزٍ يابٍ ... س مقشرٍ مكسرِ
كأنما أرباعه ... مضموغُ حبِّ الكندرِ
ولابن المعتز في القسطل، وهو مليحٌ جداً:
انظرُ إلى القسطلِ المقشرِ من ... قشرتهِ بعد الجفافِ في الشجرِ

كأنه أوجه الصقالبة ال ... بيضٍ وقد كرمشت من الكبر
ومن الشعر الجهول في الفستق:

انظر إلى الفستق الجلوب حين أتى ... مشققاً في لطيفات الطيافير
والقلب ما بين قشرته يلوح لنا ... كألسن الطير ما بين المناقير
ومن الشعر الجهول في القول المسلوق:

وقدر بها تسلقُ الباقلًا ... قبيلَ الصباح لمن قد حمزُ
أتينا به وسطَ زبديةٍ ... فكانَ كأحسن شيءٍ حضرُ
فصوصٌ من العاج مطبوقةٌ ... لها غلفٌ من أديم بشرُ
ومن جيد الشعر في الباذنجان قول ابن المعتز:

وابذنج بستانٍ أنيقٍ رأيتُه ... على طبقٍ يحكي لمقلةٍ راقمِ
قلوبٌ ظباءٍ أفردتُ عن كبودها ... على كلِّ قلبٍ منه مخلبٌ باشقِ
وقول ابن الرومي من قطعة

إذا حكاها الذي يشبهه ... وجازَ فيه محاسنَ النعتِ
قالَ كراتُ العقيقِ قد حشيتُ ... بسمسمِ قمعتُ بكميختِ
وله فيه أيضاً:

أتانا يابذنج بورانيةٍ ... وشيرازةٍ من لبانِ الغنمِ
وقد شجَّ للقلبي منه الجلودُ ... كتشجيعِ أوجهِ بعضِ الخدمِ
ومن الشعر الجهول فيه:

وكأما الإبذنجُ سودُ حمائمٍ ... بكرتُ إلى خيمِ الربيعِ المبكرِ
لقطتُ مناقرها الزبرجدِ سمماً ... واستودعته حواصلٌ من عنبرِ
وقال أبو الفضل بن شرف الأندلسي يخاطب صديقاً له وأحسن:

وإذا صنعتَ غذاءنا ... فاصنعهُ غيرَ مبذنجِ
إياك هامةٌ أسودٍ ... عريانَ أصلعِ كوسجِ
وقال ابن المعتز في الخشخاش من مزدوجة:

وقد بدا الخشخاشُ بين الرندِ ... مثلَ الدبايسِ بأيدي الجندي
وقال ابن وكيع، وليس بالجيد:

وخشخاشٍ كأننا منه نفرِي ... قميصَ زبرجدٍ عن جسمِ درِّ
كأقداحٍ من البلورِ صينتُ ... بأغشيةٍ من الديداجِ خضرِ
وقال كشاجم في قصب السكر، وأجاد:

أعددتُ عندي لنداهاى العجبُ

أبيضَ في ثوبٍ حريرٍ منتخبٍ
كأنما ذوباً من التبرِ شربُ
كأنه أعملةٌ من الذهبِ
شدَّ إلى أطرافها خضر العذابِ
وقال أيضاً في زهر الكتان:
ما أبصرتُ عيني ولا عينُ أحدٍ ... أحسنَ من روضٍ أنيقٍ منتضدٍ
كأنما الكتانُ فيه إذ عقدُ ... ونشر الأوراقَ زرقاً في الجلدُ
آثارُ قرصٍ من محبٍ في جسدُ
ولا بن وكيع في السلجم الأصفر النابت في الكتان، وأخطأ في نسبته إليه:
ذوائبُ كتانٍ تمايلنَ في الضحى ... على خضر أغصان من الري ميدِ
كأنَّ اصفرارَ الزهرِ فوقَ اخضرارِها ... مداهنُ تبرٍ ركبتُ في زبرجدِ
وقال في مثله:
اشربُ فقد زالتِ المعاذيرُ ... وساعتُ بلنى المقاديرُ
وجاءَ فصلُ الربيعِ ملتمساً ... أن ينطقَ اليمُّ فيه والزيرُ
وهزَّ كتانهُ ذوائبه ... ففيه جهدُ الصفاتِ تقصيرُ
كأنهُ بسطُ سنلسٍ بهجٍ ... قد نثرتُ فوقهُ دنانيرُ
وقال حبيب البصري في العصفر، ووقع في عيب التضمين:
ريحانةٌ في احمرارٍ مهديها ... كأنها بعد فكرتي فيها
أحبةٌ لم تصخَّ لعاذ لها ... تسدُّ آذانها بأيديها
وقال ظافر الحداد في سنابل القمح:
كأنَّ سنابلَ حبِّ الحصيدِ ... وقد شارفتُ حين إبانها
كبائسُ مضمفورةٌ ربعتُ ... وأرختُ فضائلُ خيطانها
وقال يشبه حبَّ البر:
بوركُ في برنا ومن زرعه ... والحمدُ والشكرُ للذي صنعه
كأنما كلُّ حبةٍ منه في الش ... كل وفي اللون والحبا ودعه

الباب الرابع

التشبيه الواقع في الخمريات

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

في تشبيه الكأس بعد المزج

ومن أحسن ذلك قول ابن المعتز، وإن لم يكن فيه حرف تشبيه:
وأمطرَ الكأسُ ماءً من أبارقه ... فأنبت الدرَّ في أرضٍ من الذهبِ
وسيح القومُ لما أن رأوا عجباً ... نوراً من الماءِ في نارٍ من العنبِ
وقال أبو الفرج الوأواء من قطعة:

هي الحياةُ فلو تأوي إلى حجرٍ ... لولدتُ فه منها نشوة الطربِ
كأنها ولسانُ الماءِ يقرعها ... دمعٌ تفرقَ في أجفانٍ منتخبِ
إذا علاها حبابٌ خلته شبكاً ... من اللجين على ماء من الذهبِ
وقال أبو بكر الخالدي:

قامَ مثل الغصنِ الميادِ في لينِ الشبابِ
بمزجِ الخمرِ لنا بالصفوٍ من ماءِ السحابِ
فكأنَّ الراحَ لما ضحكتُ تحتَ الحبابِ
وجنةُ حمراءٍ لاحتُ لك من تحتِ نقابِ
وللسري في مثله من قطعة:

وكأنَّ كأسَ عقارِها ... لما ارتدتُ بجباها
توريدُ وجنتها إذا ... ما لاح تحتِ نقابها
وقال أبو بكر الخالدي أيضاً:

ألا سقني والليلُ قد غابَ نوره ... لغيبةِ بدرٍ في السماءِ غريقِ
وقد فضح الظلماءَ برقٌ كأنه ... فؤادُ مشوقٍ مولعٌ بمغروقِ
نعابنها نوراً جلاه مجسداً ... ونلمسُ ناراً بغيرِ حريقِ
كأنَّ حبابَ الماءِ في جنباتها ... كواكبُ درٍّ في سماءِ عقيقِ
وأورده ابن وكيع على هذا البيت فقال من قطعة:
وحمراءُ من ماءِ الكرومِ كأنها ... فراقُ عدوٍّ أو لقاءُ صديقِ

كأنَّ الحبابِ المستدير بطوقها ... كواكبُ درٍّ في سماءِ عقيقِ
صببتُ عليها الماءَ حتى تعوضتُ ... قميصَ بهارٍ من قميصِ شقيقِ
وخذه عبد الجليل بن وهبون المرسى فقال:

ومشمولةٌ في الكأسِ تحسبُ أنها ... سماءِ عقيقٍ زينتُ بكواكبِ
بنتُ كعبةَ اللذاتِ في حرمِ الصبا ... فحجَّ إليها اللهوُ من كلِّ جانبِ

وقال أبو نواس من قطعة:

كأن كبرى وصغرى من فقاقتها ... درّ نثيرٍ على أرضٍ من الذهبِ
وقال أبو عثمان الخالدي من قطعة:

فهاهما كالعروسِ محمّرةً ال ... خدينِ في معجرٍ من الحبِ
كادتُ تكونُ الهواءَ في أرج ال ... عبرٍ لو لم تكنُ من العنبِ
من كفٍّ راضٍ من الصدودِ وقد ... غضبتُ في حبه على الغضبِ
فلو ترى الكأسَ حينَ يمزجها ... رأيتَ شيئاً من أعجبِ العجبِ
ناراً حواها الزجاجُ يلهبها ال ... ماءً ودرأً يدورُ في ذهبِ
وقال الوأواء:

عذبتها بالمزاجِ فابتسمتُ ... عن بردِ نابتِ على لبِ
كأن أيدي المزاجِ قد سكتتُ ... في كأسها فضةً على ذهبِ
وقال ابن بابك وأجاد:

عقارٌ عليها من دمِ الصبِّ لبسةً ... ومن عبراتِ المستهامِ فواقِعُ
معوذة غصبِ العقولِ كأنما ... لها عندَ ألبابِ الرجالِ ودائِعُ
تخير ماء المزنِ في كأسها ... كما تحير في وردِ الحدودِ المدامعُ
وقال ابن وكيع من قطعة:

وافتُ بكأسِ الراحِ تحملُ نارها ... تحتَ الظلامِ براحةٍ من ماءِ
راحٍ حكّتُ بجباها شمسَ الضحى ... قد قلدت بكواكبِ الجوزاءِ
وقال أيضاً من قصيدة:

اشرب فقد طابت العقارُ ... وابتسم الورد والبهارُ
من قهوةٍ من انبرت لهم ... إلا وولى له انشمار
لها جيوشٌ من الملاهي ... لهم قدامها فرارُ
كأنما تحته كميته ... عليه من فضةٍ عذارُ
وقال المطوعي:

ومعشوقِ الشمائلِ عسكريٍّ ... له قتلى وليس له جراحُ
كأن الكأسِ في يده عروسٌ ... لها من لؤلؤِ رطبٍ وشاحُ
وقال أبو بكر الخالدي من قطعة:

حمراءُ حينَ جلتها الكأسُ نقطها ... مزاجها بدنانيرٍ من الحبِ
وهذا فصل لو تقصى لطلال، فالوجه الاختصار والاقبصار.

الفصل الثاني

في تشبيه الساقى

قال المطوعي، أو أبو الأسعد الأصفهاني، وأجاد:
ومحجوب يطوف بكأسٍ راحٍ ... وبقاقه نرجس فسقى وحيًا
هلموا فانظروا مرًا منيرًا ... سقى شمسًا وحيًا بالثريا
وقال ابن المعتز:

أباح عيني لطول الليل والأرق ... وصاح إنسانها في الدمع بالغرق
كأنه وكان الكأس في يده ... هلال أول شهر عبّ في شفق
وقال أبو الأسعد الأصفهاني:

هذي المدام وهذه التحف ... والكأس بين الشرب تختلف
فكأنهم وكان ساقبيهم ... سين ترى قدامها ألف
وقال ابن خفاجة الأندلسي في ساق أسود أحذب، وأحسن:
وكأس أنس قد جلته المني ... فباتت النفس بما معرسة
طاف بها أسودٌ محدودبٌ ... أطرب من هو به مجلسه
فخلته من سيج ربوة ... قد أنبتت من ذهب نرجسه
وقال أيضًا فيه وأجاد:

وخمرة تضرم من حمرة ... يصلى بها أسودٌ محدودبٌ
أدمج في أكتفه عنقه ... فغار رأسٌ وانحنى منكبٌ
وافتر عن ضوء هلال بدا ... مطلعته من وجهه مغربٌ
واعقلت لحمه أطرافه ... شرارة من كأسه تلهبٌ
فجاءنا يلبس من جلده ... ثوب حدادٍ كمه مذهبٌ
كأنه والكأس في كفه ... قطع من الليل به كوكبٌ
وقال الأسعد بن إبراهيم الأندلسي:

يارب زنجي خلوت به ... الشمس عند سناه ممقوته
قد راكمت التجعيد لمته ... فتراكمت فكأنها توتة
وإذا سعى بالكأس تحسبه ... جعلاً يدحرج فصّ ياقوته

الفصل الثالث

في تشبيه الإبريق والكأس

من أحسن ما قل في الإبريق قول الصابي:
عروس دنّ صفت وطابت ... لونا وطعماً فما تعاف
كانّ إبريقها لدينا ... ناكس رأس به رعا ف
وقال ابن برد الأندلسي، وأجاد:

وقهوة من فم الإبريق ساكية ... كدمع مفجوعة بالالف مغير
كانّ إبريقنا والراح في فمه ... طير تناول ياقوتاً بمنقار
وقال ابن مكنسة، وأحسن:

إبريقنا عاكف على قرح ... كأنه الأم ترضع الولدا
أو عابد من بني الجوس إذا ... توهم الكأس شعله سجداً
وقال محمد بن أحمد بن حبيب في الكأس، وأحسن:
ليس منا إلا مديم مدام ... راع الكأس ساجد الإبريق
وكانّ الساقى يشير إلى الند ... مان من كاسه بتاج عقيق
وقال السري في تشبيه كأس ناقصة:

وصفراء من ماء الكروم شربتها ... على وجه صفراء الترائب غضة
تبدت وفضل الكأس يلمع فوقها ... كأترجة زينت ياكليل فضة
وقال في مثله:

دعانا إلى اللهو داعي السرور ... فبتنا نبوح بما في الصدور
وطافت علينا بشمس الدنان ... في غسق الليل شمس الحدور
كانّ الكؤوس وقد كللت ... بفضلاتهن أكليل نور
جيوب من الوشي مزورة ... يلوح عليها بياض النحور
وقال ابن القيسراني في الإبريق:

ترى الإبريق يحمل أخوه ... كلا الظبين يلثمه ارتشافا
تراه كمطرق في القوم يبكي ... دماً أو ناكس يشكو الرعافا
وقال ابن الخازن:

إذا بزلت من دنها قلت بارق ... تألق أو تغرّ تبسم أو فجر
كانّ القناني والكؤوس حمائم ... ترق فراخاً في الأكل لها وكر
وقال ابن حمديس في قناني الخمر:

وكأما صور القناني إذا ... ملئت إلى لهواتها حمرا
بيض الحسان وقفن في عرس ... لما لبسن غلاتها حمرا

الفصل الرابع

في تشبيه الشراب الأسود

من أحسن ما قيل فيه قول البحري من قطعة:
لو تراني وفي يدي قدحُ الأو ... شاب أبصرت بازياً وغرابا
وقال أيضاً:
شربتُ مشمسَ قطرٍ بل ... وجرعتنا دقل الدسكرة
إذا صبَّ في الكأسِ مسوده ... فكأسِ النديمِ بهِ محبرة
وقال أبو الطيب المتنبي من قطعة:
هجرتُ الخمر كالذهبِ المصفى ... فخمري ماءً مزين كالجين
كأنَّ بياضها والراح فيها ... بياضٌ محدقٌ بسوادِ عين
وأشدني القاضي النفيس أحمد بن عبد الغني الفطوسي في هذا لنفسه وزاد عليه زيادة بينة:
وإني بكأسٍ لجينٍ بما سبج ... قد رصع الماء في حافاتها دررا
كأنها مقلّة حوراء باهتة ... قد جفّ مدمعها فيها وما قطرا

الفصل الخامس

في تشبيه ضوء الخمر

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول القاضي التوخي:
وراح من الشمس مخلوقة ... بدت لك في قدح من همار
هواء ولكنه جامد ... وماء ولكنه غير جار
كأن المدير لها باليمين ... إذا قام للسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياصمين ... له فرد كم من الجنان
وقال السري في هذا المعنى:
وبكر شربناها على الوردِ بكرة ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوّة الغد
إذا قام مبيض اللباس يديرها ... توهمته يسعى بك مورِد
وقال ابن خفاجة من قطعة، وقد تقدمت:
فجاءنا يلبس من ثوبه ... ثوب حداد كمه مذهب
وقال ابن مكنسة في ذلك، وهو أحسن ما قيل فيه، وإن لم يكن من فن التشبيه:
وعروس دسكرة تقلد جيدها ... عقداً توقد تحتها وتوقدا
بكر إذا افترعت أخذت شعاعها ... بيدي وقلت لأهلها هذا الردا
وقال ابن حمديس:

وورديةً في اللونِ والريحِ شعشتُ ... فأبدتُ نجومًا في شعاعِ من الشمسِ
كأنَّ يدي من فضةٍ فإذا حوتُ ... زجاجتها عادتُ مذهبةً الخمسِ
وقال ابن قلاقس من مزدوجة:
شمسٌ لها من الدنانِ مشرقٌ ... كالنارِ إلا أنها لا تحرقُ
كأننا من ضوءِ تلك النارِ ... نشربُ في بيتٍ من النصارِ

الباب الخامس

التشبيه الواقع في الغزل

وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في تشبيه الغور والشفاه والشوارب

وأجمع ما قيل في تشبيه الغر قول الحريري:
نفسى الفداءً لصغرٍ راق ميسمه ... وزانه شبُّ ناهيك من شبِّ
يفترُّ عن لؤلؤِ رطبٍ وعن بردٍ ... وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعن حجبٍ
وللبحتري:
كأنما تبسم عن لؤلؤٍ ... منضدٍ أو بردٍ أو أقاحٍ
وقال الصابي وأحسن:
قبلتُ منه فما مجاجته ... تجمع بين المدام والشهدِ
كأنَّ مجرى سواكه بردٌ ... وريقه ذوب ذلك البردِ
وقال ابن سكرة الهاشمي:
يا ضاحكاً يستهلُّ مضحكه ... عن بردٍ واضحٍ وعن شبِّ
أعطيتني قبلة رشفتُ بها الش ... هد مشبواً بعبرة العنبِ
كأنني إذا لثمتُ فاكُ بها ... لثمتُ تفاحةً من الذهبِ

الباب السادس

تشبيهات مختلفة

وفيه عشرة فصول

صغار لها سمنٌ ظاهرٌ ... يدلُّ على حذقِ علافِها
حكّت قطع القطن مندوفةً ... إذا فارقت يدَ ندافِها
كأنّ تماثيلَ أجسامِها ... وأفواها تحت آنافِها
خليعُ الطرايرِ بيضاً وقد ... تفتق ما فوق أطرافِها
وله فيها أيضاً:

غدونا للغداءِ غداةَ قرّ ... لأكلِ رءوسِ أبناءِ النعاجِ
صغارِ السنِّ وافرةٍ سمانٍ ... تريكَ صغارِ ناعمةٍ نضاجِ
كأغشيةٍ مبطنةٍ بقطنٍ ... مقدره على أدراجِ عاجِ
وقال ابن الرومي فيها وفي أرغفةِ الخبزِ، وأحسن:
ما إن رأينا من طعامِ حاضرٍ ... نعتده لفجاءةِ الزوارِ
كمهيئينِ من المطاعمِ أصبحا ... شبيهينِ للأبرارِ والفجارِ
روسٌ وأرغفةٌ ضخامٌ فخمةٌ ... قد أخرجنا من جاحمِ فوارِ
كوجوهِ أهلِ الجنةِ ابتسمت لنا ... مقرونةً بوجوهِ أهلِ النارِ
ومن جيد الشعر الجهول في الملح والسماق:

رأيتُ الملح والسماق لما ... أتانا يومَ تفسيحِ الرءوسِ
كدرٌ مع عقيقِ كسرتِه ... مفجعةً يابنتها العروسِ
ومن جيد الشعر في الفقاغ وكيزانه قول محمد بن علي التميمي، وأحسن:
تعنتق الكفُّ منه محتضناً ... كأنه ثديُّ غادةٍ ناهدِ
تنفس المسكُ من مراشفه ... بين لآلي حبابه الصاعدِ
كأن كافور مائه أبداً ... يفورُ من أرضِ مسكه الجامدِ
وقال ظافر الحداد:

عندنا كيزانُ فقا ... عٍ له خبرٌ ومنظرٌ
من رآنا تورّد الأبي ... دي إليها ثمّ تصدُرُ
ظنٌّ في أممنا للث ... م تفاحاتِ عبرِ
وله فيه أيضاً:

جاءنا بعدَ أكلنا فقاغٌ ... قد أجادتِ إحكامه الصناعُ
فكأنّ الكيزانَ سود البنا ... ن ولكن عيدانها الأقماعُ
وقال السري الموصلِي:

لست بنافٍ خمّارٍ مخمورٍ ... إلا بصافي الشرابِ مقرورِ
يطيرُ عن رأسه القناعُ إذا ... نفست عنه خناقَ مزرورِ

رام بسهم كأنه خصرٌ ... أو طيب نشرٍ نسيمٌ كافور
يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ ... كأنه صولجانٌ بلور

الفصل الخامس

فيما قيل في الراي الطري من الشبيه

من أجمع وأجود ما قيل قول ظافر الحداد يستدعي صديقاً له:
أيا سيداً فاق أعلى الرتب ... وحاز الكمال بأوفى سبب
أما لك في الراي رأيٌّ فإنّ ... له صفة أوجبت أن يحب
تربى مع النيل حتى ربا ... وصار من الشحم ضخماً خدب
يروقك نيئاً وفي قلبه ... فتبصر من حالتيه العجب
نصول السكاكين من فضة ... وفي القلي تمويهها بالذهب
كأنّ اللجين الذي قد علاه ... وذاك النضار الذي في الذنب
لفائف قطنٍ صغارٍ وقد ... تبدى بأطرافهنّ الذهب
ويا حسنه وهو بين الشباك ... وقد ظلّ مشتبكاً يضطرب
كزرق الأسنة بين الدروع ... تميدُ بمنّ العوالي السلب
وقال أبو العباس لكمال يستدعي صديقاً له:

لا تدخر لعدٍ مالا ولا سبدا ... فليس يعلم خلقٌ هل يعيشُ غدا
خذ من زمانك ما جاد الزمانُ به ... فليس يرجع وقتٌ فانتُ أبدا
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له ... وجنت زادتُ أياديك الجسامُ يدا
رايٍ طريٍّ كبارٍ القدّ تحسبه ... في لونه فضةٌ بيضاء أو بردا
كأن كفاً عليه زرتُ قطعاً ... من اللجين صغار النظم أو زردا
كأنّ قاله قد بالقلي ألبسه ... من الشقائق أنواباً له جددا

كأنه في سعير القلي منقلياً ... صبّ قلبه كفُ الهوى كمدا
كأنّ ياقوتةً حمراء هلهها ... صواغها ذهباً بالحسن متحدا
كأنه كان في نهر الحياة فما ... يكادُ يسلم منه روحه الجسدا
ولا تضع سرورا جاء من كتب ... عجزاً فتكتسب التوبيخ والفندا
وقال الأمير تميم:

كأن الأبرميس وقد أتانا ... بأذنانٍ كمحمرّ العقيق
بلسقيات بلورٍ لطاف ... بأسفلها بقايا من رحيق

وقال سليمان بن حسان النصيبي:
ما رأينا مثل هذا ال ... رأي حسناً ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ... ن عقيماً ولجينا
وقال ابن وكيع:

بدا لنا الرأي الذي ... تلدُّ عيني منظره
في قمصٍ قضية ... أذيالها معصفرة
عوضه القالي بما ... غلاتاً مزعفره
وافى به فما رأت ... هُ العين حتى لم تره
ومن جيد الشعر المجهول فيه:

كأنما الرأي والصيد يخرجه ... بحسن صنعته من خالص اللجج
أسنة من لجين عندما صقلت ... مخضبات الأعلي من دم المهج
وقال المملوك فيه:

انظر إلى الرأي الطري ... وحسن منظره البديع
حازته أشباك غدت ... في الكف محكمة الصنيع
يحكي إذا أبصرته ... زرق الأسنة في الدروع

الفصل السادس

فيما قيل من التشبيه في أنواع من المأكول

لأبي نصر بن كشاجم من مزدوجة يصف جفنة طعام، وأحسن في تشبيه جميعها:
ومن فراريج بماء الحصرم ... تصلح للمحموم أو للمحتمي
قد سويت أكبادها بيض ... وهي كمثل نرجس في روض
وجاءنا فيها بيض أحمر ... كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا أتى به مقشرا ... أبرز من تحت العقيق الدررا
كأنه إذ حاز أصناف الملح ... أعاره تلوينه قوس قرح
وجاءنا براضع لم يعتلف ... كأن قطناً فوق جنبه ندف
وجاءنا فيها بباذنجان ... مثل قود أكر الميدان
قد قارب الهليون بالمازجة ... تقارب الكرات بالصوالجة
وقال الطغرائي من قصيدة يصف خرفاناً وارداً:
وأخرج منها إلينا يسق ... ن سوق العصاة إلى المحشر
كأن تماثيل كافوره ... تضمخ بالمسك والعنبر

لجين إذا قشرتها الأكَفُ ... وتبرُّ إذا هي لم تقشرِ
وقدم طباخنا أرزةً ... عليها لثامٌ من السكرِ
كما احتجب البدرُ تحت الغما ... م فلم يتجلَّ ولم يسترِ
ترى للدهانِ على وجهها ... عيوناً تدور بلا محجرِ
منها يصف قطائفاً:

شربن من الحلو حتى روين ... وغرقن في لجه الأصفرِ
كأن الكواعب قد أبرزت ... من الخلد تسبح في الكوثرِ
وقال ابن قلاقس في القطائف:

أحسن من وصف ديار الطائف ... ومن خليط سار في متالفِ
بديع مرأى هذه القطائف ... كأنها في عين كل واصفِ
قد صورت من أبيض المناشفِ
وقال ابن مكنسة من قصيدة:

اسفندباج نصلي ... لحسنها ونصومِ
صفت فعادت سماءً ... والبيض منها نجومِ
ومن جيد الشعر الجهول في البسندود:
أقرصة هشة مدورة ... كأنها في النقاء كافورُ
أحلى من الوصف ناله كلف ... معذب بالصدود مهجورُ
كأنها في الصحف مطبقة ... دراهم وسطها دنانيرُ
وقال ابن قلاقس من قطعة، يصف هدية عيد الفطر:
كأن بسندوده درق ... قربت لثمنع يوم مقتحمك
والخشكانك كالأسنة قد ... تبيت بطعنك ظهر منهزمك
وكأنها الحلواء قد عقدت ... من ذلك المعقود من شيمك
وقال أبو القاسم القطاع في البيض:

اسمع عن البيض وصف مضطلع ... بالوصف ماضي الجنان نحري
بنادق التبر غشيت ورقاً ... أو مشمش في صحاف كافورِ
وقال ابن وكيع من قطعة في خروف:

خروفاً لو أشار إليه وهم ... تقطر جلده بالشحم يجري
لباطنه قميص من لجين ... تسربل فوقه بقميص تبرِ
ومن جيد الشعر الجهول القائل في الدليس هجاء:
دلينساً لا كنت من مطعم ... يا قدراً في الطعم والريح

كأنا آكله قالعٌ ... بتغره لصقة مجروح

الفصل السابع

في جملة من التشبيهات قيلت في أرباب صنائع مختلفة

ذكر ابن رشيقي صاحب العملة أن لائماً لام ابن الرومي وقال له: لم لا تشبه كتشبيه ابن المعتز، وأنت أشعر منه؟ قال: أنشدني شيئاً من شعره الذي استعجزتني في مثله: فأنشده في صفة الهلال:
فانظرُ إليه كوروق من فضةٍ ... قد أثقلته حمولةٌ من عنبر
قال: زدني، فأنشده:

كأنَّ آذريونها ... والشمس فيه كاليه

مداهنٌ من ذهبٍ ... فيها بقايا غالية

فصاح: وا غوثاه، يا لله، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ذاك إنما يصف ماعون بيته، لأنه ابن الخلفاء، وأنا أي شيء أصف، ولكن انظر إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس مني؟ هل قال أحد قط أملك من قولي في قوس الغمام. وأنشده القطعة الضادية المذكورة في باب تشبيه قوس قرح التي أولها:

وساقٍ صبيحٍ للصبحٍ دعوته ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض

وقولي في صفة صانع الرقاق:

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مرتُّ به ... يدحو الرقاقة مثل اللحم بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرةٌ ... وبين رؤيتها زهراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ ... في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وزاد أبو بكر النحوي أنه أنشد في قالي الزلابية:

ومستقر على كرسيه تعبٌ ... روحي الفداء له من عاملٍ نصب

رأيته سحراً يقلب زلابية ... في رقة القشر والتجويف كالقصب

كأنا زيته المغلي حين بدا ... الكيمياء التي قالوا ولم تصب

يلقي اللجين نفاراً من أنامله ... فيستحيل شبايكاً من الذهب

وقال ابن قلاقس في صياد:

وأشعث مثل أهل النارِ ثاوٍ ... بأخضر كل شط منه جنه

على يمينه أحدقٌ صغارٌ ... ترى ما الماء عنها قد أجنه

فيرسلها إليه وهي درعٌ ... فتأتيه وقد ملئت أسنه

وقال ظافر الحداد في فقاعي:

وإني بفقاعٍ له ... تحبني بنكهته المهج

شيخٌ مضت من عمره ... في ذلك المعنى حجج

مزجتُ يدها الطيب في ... ه فكان أطرف من مزج

وحشا قلوب سذابه ... منه بكلّ فم خرج

فكأنه يحشو به ... قطع الزمرد في السبج

وقال في مزين:

مزينٌ قد تناهى في صناعته ... إلى لطافة معني فافتُ الحكمًا

خفت مواقعُ موساهُ فلو حلقت ... في كفه شعر جلدِ الجسم ما علمًا

كأنما هي نورٌ في أنامله ... يومي فيجلو بها عن هامنا ظلما

الفصل الثامن

في تشبيه أنواع من الحيوانات

قال ابن خفاجة في فرس:

فوق وردٍ محجلٍ مزج الح ... سنُ بمرآة ماءه بنضارة

يضحكُ الحلبيُّ فوقه عن أقاح ... نثرها الصبا على جلناره

وقال أيضاً:

ومغار ركبت أدهم معطا ... لا إليه وظهر أشهبَ حال

جال في أنجم من الحلبي ييض ... وقميص من الصباح مذال

فبدا الصبح ملجما بالثريا ... وجرى البرقُ مسرجاً بالهلال

وقال يصف خيلاً من قطعة:

من أشهب شقَّ عنه الركبُ هبوتهُ ... كما تفرى أديمُ الليل عن فلق

وأدهم فضض التحجيل أكرعه ... كما تفلق بدرُ الصبح بالغسق

وأشقر سائلٍ في وجهه وضح ... كما تصوب نجم الرجم في الشفق

وقال من قطعة:

وحنَّ إليه كل وردٍ محجلٍ ... كأنَّ لجينا سالَ منه على تبر

وقال من أخرى:

يطلع للغرة في شقرة ... حبابة تطلع في كاس

وقال من قصيدة:

فلم ألقِ إلاَّ صعدة فوقَ لأمةٍ ... فقلتُ قضيبيُّ قد أطال على فمر

ولا شمتُ إلا غرة فوقَ شقرة ... فقلتُ حباب يستديرُ على فخر

وقال ابن نباتة في أدهم من قطعة:

وكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه فخاض في أحشائه

وقال ابن قلاقس في مثله، وإن لم يكن تشبيهاً:
وأدهم كالغراب سواد لون ... يطير من الرياح بلا جناح
كساه الليل شملته وولى ... وقبل بين عينيه الصباح
وقال من قصيدة:

أدهم كالليل وفي غرته ... لناظر ينظره بدر الدجى
وقال المملوك من مزدوجة يصف خيلاً:

من أدهم كالليل فيه شره ... للصبح تحجيل له وغره
أو أشهب مثل الغراب الأشيب ... نهاره مختلط بالغيه
كالماء لكن ليس فيه من كدر ... يحمل من حافره مثل الحجر
أو أشقر ذي منظر براق ... كالبرق في اللون والبراق
أو أحمر لو سابق الليل سق ... كأنما قد جلوده بالشفق
وقد صفت أوصافه في حمرة ... وبيض تحجيل له وغره
كياسمين حل في شقيق ... أو مثل در لاج في عقيق
ومن هذه المزدوجة في صفة ظباء:

وقد بدت قطائع الغزلان ... متفقات الشكل والألوان
كأنما العطار إذ صندلها ... ضمخ من كافوره أسفلها
كأنما الأرواق واسودادها ... أقلام كتاب بما مدادها
وهذا مأخوذ من قول عدي بن الرقاع:

ترجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها
وفي البيت الذي قبله زيادة على قول المتبي في صفة الظبي:
كأنه مضمخ بصندل

وقال ابن حمديس في زرافة من قطعة:

كأن الخطوط البيض والصفير أشبهت ... على جسمها ترصيع عاج بصندل
وعرف رقيق الشعر تحسب نبتة ... إذا الريح هزته ذوات سنبل
وينسب إلى ابن المعتز في الفيل:

انظر لحسن الفيل في خلقه ... تعجز أئى شيت في شبيهه
سيهته إذ لاح في شخصه ... بمركب كب على وجهه
ومن قطعة مجهول قائلها في طاووس:

تبدي اليواقيت في ريش وآخرها ... أهلة مثل أنصاف الدنانير
وقال السري الموصلى من قصيدة يصف إوزاً في بركة:

قد كللتُ بنجومٍ للحبابِ ضحى ... فإن دجا الليلُ عادت أنجماً شهباً
ترى الإوزَ سروراً في ملاعبها ... كما تأملت في ديباجها اللعباً
وقال من قصيدة أخرى فيها:

هي الروضُ لم تنش الخمائِلُ زهره ... ولا اخضَلَّ عن دمع من المزنِ ساكبِ
إذا انبعثت بين الملاعبِ حلتها ... زرابي كسرى بثها في الملاعبِ
وينسب إلى ابن المعتز في بنات وردان:

بناتُ وردانَ خلق ما يشبهه ... خلقٌ بأحسن من وصفي وتشبيهي
كمثل أنصافِ بسرٍ أحمِرُ جعلتُ ... من بعدِ تشقيقه أقماعه فيه
وقال ابن حمديس في البق من قطعة:

عساكرُ البقِ تجري فيه زاحفةً ... كما تبددَ وسطَ البيتِ سماءُ
وأخذه ظافر الحدادِ وزاد على ذلك تشبيهه البراغيث فقال:
ألا لا أعادَ الله ليلي بحجرةٍ ... وقيمتُ بها حتى الصباحِ على ساقِ
ولبِقُ فيها بالبراغيثِ خلطةً ... كبذرِ قُطونٍ ذر في حب سماءِ
وأخذه المملوكِ وزاد عليه وصف القمل فقال:

ومنزِلٌ لا كان من منزلٍ ... ولا سقاه الله صوب الولي
قد صارَ بالقملِ وبالبقِّ وال ... برغوثٍ من كرههم ممثلي
كأما قد فرشتُ أرضه ... بالأرزِ والسماقِ والخردلِ

الفصل التاسع

في تشبيهات مختارة من آلات الحرب

من جيد ما قيل في السيف قول الشريف أبي الحسن علي بن إسماعيل الرندي القيرواني:
ومهندٍ غضب الغرارِ كأنه ... تحت العجاجة لجة خضراء
نقش الفرند ذبابه فكأنما ... سلخت عليه الحية الرقشاء
وقال ابن قلاقس من قطعة:

فابعث بدرع كجلدِ الصل يصحبها ... مهندٌ كلسانِ الصارمِ الذكر
وجنةٍ شبهتُ فيها كواكبها ... شكلَ الثريا بدت في دائرة القمرِ
وقال على لسان سيف الدين:

ربَّ يومٍ لهُ من النقعِ سحبٌ ... ما لها غيرَ مائرِ الدمِ ودقُ
قد جلتهُ يعنى بلالٍ مجدٌّ ... فكأنني في راحةِ الشمسِ برقُ
وقال من قصيدة:

خفقت من خلفه رايته ... وهي أمثال الحمام الحوم
عذب يلعب فيها ذهب ... لعب البرق بذيل الدم
وقال من قصيدة:

في حيث أذكي السمهري شرارة ... رفع العجاج لها مثال دخان
وقال ابن خفاجة يصف سيفاً:

ومرقرق الإفند يمضي في العدا ... أبدا فيفتك ما أراد وينسك
فكأنه والماء يضحك فوقه ... جذلان يبكي للسرور ويضحك
وقال في لابس درع:

زر الحديد عليه جيب غمامة ... زرقاء في غبش الظلام الأقم

وكان جلد حية خلعت به ... يوم الكريهة فوق عطفي ضيغم
وقال في قتيل من قصيدة:

موسدا فوق نصل السيف تحسبه ... مستلقياً فوق شاطئ جدول ثملا
وقال ابن قلاقس:

تصطف في الجنين أرماحهم ... تمطى البازي بريش الجناح
وقال ابن رثيق من قصيدة:

فالجيش ينفص حوله أسنته ... نفص العقاب جناحها من البلل

الفصل العاشر

في تشبيهات في أشياء مختلفة

قال ابن المعتز في تشبيه زامرة سوداء وأحسن:

وزامرة بالناي قلت لها ازمري ... فعابت منها منظرًا أي منظر
أناملها تحكي عليه خنافساً ... تدب على أعلى خيارة شنبر

وقال عبد العزيز بن حسين بن مهذب في سفرة خضراء مفروزة بأزرق:

لله در غلام جاء يخدمنا ... بسفرة من رفيع الصوف قوراء
بفروز أزرق من حول دارقما ... نحار فيه وفيها مقلّة الرائي
كأنها روضة خضراء مزهرة ... وحوها جدول من أزرق الماء
وقال عمر بن الخراط البجائي في مصلوب:

أنظر إليه كأنه في جذعه ... متظلم لحظ السماء بطرفه

رفع اليدين كأنه يدعو على ... من قد أشار على الأمير بحتفه

وقال ابن حمديس فيه:

ومرتفع في الجذع إذ حطَّ قدره ... أساءَ إليه ظالمٌ وهو محسنٌ
كذي غرقٍ مدَّ الذراعينِ ساجحاً ... من الجوِّ بحراً سبحةً ليسَ تمكُنُ
وتحسبُهُ من جنةِ الخلدِ دانياً ... يعانقُ حوراً ما تراهنَ أعينُ
وينسب إلى ابن المعتز فيه:

أنظر إليه كأنه في جذعه ... إذ وشحوهُ بالحبالِ ودرعا
رامٍ رمى عن قوسه بمفوق ... وأرادَ صحّةً وقعه فتسمعا
ومن جيد العشر الجهولِ قائله في المصاليب:

أنظرُ إليهم في الجذع كأنهم ... قد فوقوا يرمونَ بالنشابِ
أو عصبه عزموا الرحيلَ فنكسوا ... أعناقهم أسفاً على الأحبابِ
وينسب إلى ابن المعتز في مباضع الفسادِ من قطعة:
كأنما اللستُ إذ حواها ... وقد أعدتُ ليومَ فصدِ
أقلامُ تبرٍ مخزقاتٌ ... قد استمدتُ بلازوردِ
وقال ابن حمديس يشبه الشيب:

ولى شبابي وراع شبيبي ... مني سربَ المها وفضه
كأنما المشطُ في يميني ... أجرٌ منهُ خيوطُ فضه
وقال ابن اللبانة:

بلدٌ أعارته الحمامةُ طوقها ... وكساهُ حلةَ ريشه الطاووسُ
فكانَ أثمارَ المياهِ سلافةً ... وكانَ ساحاتِ الديارِ كؤوسُ
وقال من قطعةٍ في منارة:

إذا نظرتُ منها النواظرُ دوحةً ... بدا زرقُ أعلاها من النارِ نورها
وقال أبو الصلتِ أميةُ بن عبد العزيز في الهرمين:

بعيشك هل أبصرتُ أحسنَ منظراً ... على ما رأَتَ عيناكِ من هرَمي مصر
أنافاً بأعنانِ السماءِ وأشرفاً ... على الأرضِ إشرافاً السماكِ أو النسرِ
وقدُ وافيا نشزاً من الأرضِ عالياً ... كأنهما همدانِ قاما على صدرِ
وقال ظافرُ الحدادِ من قطعةٍ فيهما:

تأمل هيتةَ الهرمينِ وانظرُ ... وبينهما أبو الهولِ العجيبُ
كعماريتينِ على رحيلِ ... لمحبوينِ بينهما رقيبُ
وقال السري الموصلي يصف دولاباً:

الماءُ يلعبُ كالأرقامِ موجه ... والسفنُ بالأحداقِ فيه عقاربُ
والصوتُ من دولابِ كلٍ متوج ... أطفالُ زنجٍ للرضاعِ نوادبُ

فانظر إليه كأنه وكأنا ... كيزانه للماء منه سواكب
فلنك يدورُ بأنجم جعلت له ... كالعقدِ فهي شوارق وغواربُ
وقال ابن سعيد الخير البنسي فيه من قطعة:
وكانه صبُّ يطوفُ بمعهدٍ ... ييكي ويسألُ فيه عمناً بنا
ضاقتُ مجاري جفنه عن دمه ... ففتحت أضلاعه أجفانا
وقال ابن خفاجة الأندلسي من قصيدة:
ترجح في موشية ذهبية ... كما اشتبكت زهرُ النجوم على البدر
تم الفصل وبتمامه:

نجز الكتاب وجاء يلهي من رأى ... حسناً ويطرب بالملاحه من قرا
جمع الخاسن كلها فأتى بما ... مصداق: كل الصيد في جوف القرا
إن كان نحو الغيث يذهب إنه ... قد جاء روضاً بالمعاني أزهرها
أهديتُ جوهره إلى بحرٍ وذا ... عجب لأن البحر يهدي الجوهرها

وأتى حسن المقاصد، مليح المصادر والموارد، هذا على ما يعاينه الملوك من قريحة كانت ماضية فعادت
كليلة، وبضاعة من الحفظ كانت كثيرة، فعادت قليلة، ثم عدم تعليقاته التي أفنى في جمعها عمره، وقطع في
طلبها دهره، وهو يرجو بموافقته الغرض أن يبعث إليه المجلس من عواطفه عاطفةً، ويسكنه من جاهه في
ظلال النعيم الوارفة، ويجيره من كل آزفة، ليس لها من دون الله كاشفة، إن شاء الله تعالى.
وله الحمد والمنة، والصلاة والسلام على محمد نبيه، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.